

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 1435095565

رقم التسجيل: ط2: 1435095706

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص أدب عربي حديث

بعنوان:

**بنية الفضاء في رواية "السمك لايبالي"**  
**لـ إنعام بيوض.**

إعداد الطالب (ة):

حيزية بن عثمان

إلهام بوسعدية

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر - أ -	محمد أمين بوضياف
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ مساعد - أ -	عبد الكريم معمري
مناقشا	جامعة المسيلة	أستاذ مساعد - أ -	مختار لبرة

السنة الجامعية: 1439هـ - 1440هـ / 2018م - 2019م

# شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

نتقدم بخالص الشكر الجزيل والعرفان بالجميل والاحترام والتقدير لمن غمرنا بالفضل وخصنا

بالنصح وتفضل علينا بقبول الإشراف على رسالة الماجستير أستاذنا ومعلمنا الفاضل الأستاذ

"عبد الكريم معمرى" الذي سهل لنا طريق العمل ولم يبخل علينا بنصائحه القيّمة ، فوجهنا

حين الخطأ وشجعنا حين الصواب ، فكان قبس الضياء في عمّة البحث وكان نعم الناصح

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

مقدمة



## مقدمة:

يعد النص الروائي من أكثر النصوص السردية الأدبية استحضارا للمعالم التاريخية و للمظاهر الاجتماعية و ظواهرها، و للأنساق الفكرية و الثقافية و الأيديولوجية، و لكونه يرتبط أشد الارتباط بالحياة المجتمعية، فقد خلق هذا له إمكانية أكبر لتصوير الواقع الكائن و الممكن ضمن السيرورة التاريخية للمجتمع.

كل هذه الاعتبارات و غيرها، جمعت من الرواية نوعا أدبيا رئيسيا و متميزا عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، و موضوعا يحظى باهتمام مركزي في الدراسات الأدبية، ما فتح المجال أمام الباحثين لتحليلها و إظهار تقنيات مؤلفي الرواية الحديثة و المعاصرة في استعمال عناصرها، و تشابكها فيما بينها لتكوّن نسيج أحداثها وفق تشكيل إبداعي فني يضمن مقروئيتها، و يخلق متعة جمالية لمتلقيها.

و من بين هذه العناصر: " الفضاء " الذي يعد من المكونات الأساسية في بناء الرواية، بالنظر إلى علاقته بالمكونات الأخرى، أو بوصفه الأداة التي تضي على الرواية بعض الجمالية.

ومن ثمّ فإن دراسة بنية الفضاء الروائي لَوَاحِدٍ من أهم الموضوعات الحداثيّة، التي تكتسب ضرورتها من أهمية التعرف إلى النص الروائي في بعده المكاني من خلال التركيز على الفضاء بما هو مجال لأحداث الرواية.

و بناء على ما سبق، فقد وقع اختيارنا على الرواية بوصفها جنسا أدبيا متميزا ، و متحررا من القيود التي طبعت الأشكال النثرية القديمة ، وانخرطنا في معمار فني جديد منها النوع الأدبي الأكثر حضورا .

وقد وقع اختيارنا على الروائية "إنعام بيوض"، لجملة من الاعتبارات أهمها: اهتمامنا بالرواية التي تعكس بنية الجزائر الثقافية والتاريخية والاجتماعية، وللموقع الذي تحتله الرواية في ميدان الأدب العربي والعالمي، إضافة إلى توفر عدد كاف من إنتاجها الروائي.

وارتأينا تسليط الضوء على روايتها المعنونة بـ "السمك لايبالي" والحائزة على جائزة مالك حداد للرواية، فقد أظهرت من خلالها تميزا في الأسلوب، وخبرة جمالية ومعرفية وفنية عالية،



إضافة إلى جاذبية العنوان الذي يحيل القارئ على اللامبالاة وعدم الاكتراث لما يزرع البشر وينكد صفو حياتهم.

عند قراءتنا للرواية لاحظنا تنوع الأمكنة فيها وتداخلها بين الماضي والحاضر والمستقبل، لذا فقد شدنا عنصر الفضاء، وطرحنا جملة من الأسئلة عنه، اعتبرناها عمدة في إشكالية البحث: كيف يشكل المؤلف الفضاء داخل نص الرواية؟ إلى أي مدى يمكن أن يسهم الفضاء في تشكيل طبع الشخصيات المعاشة وسط عناصره؟ وهل يمكن لعناصر الفضاء الموصوفة أن تتحول للغة تعكس أيديولوجية المؤلف؟.

وعلى هذا الأساس عنوننا بحثنا هذا بـ "بنية الفضاء في رواية (السمك لايبالي) لـ "إنعام بيوض"، وقد سعينا إلى الإستعانة بالمنهج المناسب لفتح فضاءات أوسع للشرح، ومنح إمكانية أفضل للدراسة، غير أن طبيعة المضامين المتنوعة لهذا البحث اقتضت ضرورة الاعتماد على المنهج البنوي، الذي يظهر بقوة في دراستنا تبعا لطبيعة الموضوع (بنية الفضاء)، إضافة إلى المنهج الوصفي لبيان ملامح الأمكنة ووصف الأفضية والشخصيات. ومن خلال الفضاءات الرئيسية في الرواية قسمنا بحثنا إلى: مدخل وفصلين وملحق، يمثل المدخل لمحة نظرية موجزة تعين القارئ على توسيع مداركه حول مفهوم البنية لغة واصطلاحا.

ثم انتقلنا إلى الفصل الأول المعنون بـ "الفضاء، تفاعلاته ووظائفه"، ابتدأنا هذا الفصل بمعارف نظرية تفيدنا في مواجهة الموضوع، وقد انحصر في ثلاثة عناصر أساسية؛ العنصر الأول:

"مفاهيم الفضاء الروائي"، تناولنا من خلاله جملة من المفاهيم الواردة في المعاجم العربية والغربية، والمتعلقة بلفظ الفضاء، وأتبعته بما اصطلح عليه النقاد والدارسون العرب والغرب في هذا الجانب؛ أما العنصر الثاني: "تفاعلات" فقد توقفنا من خلاله عند أهم العلاقات التي تربط الفضاء بمكونات السرد الأخرى متمثلة أساسا في الزمن، الشخصية، الحدث، الوصف، ثم ركزنا في العنصر الثالث على "وظائفه" الداخلية والخارجية.



أما في الفصل الثاني بعنوان أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض": فقد عرضنا لأنواع الفضاءات من خلال عنصري الانفتاح والإغلاق، وصنفنا على هذا الأساس الفضاءات الواردة في نص الرواية حسب طبيعتها، فانطوى تحت عنوان الفضاء المفتوح كل من: فضاء المدينة، فضاء البحر، فضاء الحي، وتحت عنوان الفضاء المغلق: فضاء البيوت والشقق، فضاء المقهى، فضاء المرسم، فضاء المستشفى، الفضاء الديني، وبدا لنا من الضروري إلحاقه بعنصر أخير بيّنا من خلاله أهم السمات التي ميزت الفضاء الروائي في الرواية -محل الدراسة-.

وفي الأخير خُص هذا البحث إلى خاتمة احتوت على أهم النتائج المُحصَل عليها لاستكمال ما جاء فيه من دراسة نظرية وتطبيقية.

وقد اعتمدنا على الرواية كمصدر أساسي نستقي منه مادة البحث، ولجأنا إلى مراجع تفاوتنا في استعمالها حسب أهميتها نذكر منها: "شعرية الفضاء: المتخيل والهوية في الرواية العربية لـ "حسن نجمي"، "بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ لـ "سيزا القاسم"، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لـ "حميد الحمداني"، والمدينة في الشعر العربي: الجزائر نموذجاً (1925-1962) لـ "إبراهيم رماني"، وغيرها من الكتب التي تناول الموضوع بنفسه وتخدمه.

وارتأينا أن نُتبع المدخل والفصلين بملحق نظري تناولنا فيه نبذة تاريخية عن حياة المؤلفة "إنعام بيوض"، شرحت من خلاله أهم محطات حياتها وأعمالها الإبداعية، مُتبعة ذلك بملخص لمضمون الرواية "السمك لايبالي" يسمح بفهم أحداثها الرئيسية، وأخذ صورة عامة عن محتواها.

ولما كان أي بحث علمي لا يخلو من صعوبات، فرحلتنا معه هي الأخرى لم تكن سهلة، فقد واجهتنا صعوبات كان من أبرزها:

- تلك الترجمات المختلفة للمصطلح الواحد (مصطلح الفضاء)، فنتج عن ذلك اضطراب في ضبطه.



- ندرة الدراسات التي قامت حول موضوع "الفضاء"، ب اعتباره موضوعا جديدا قياسا مع الاصطلاحات الأخرى.

ويبقى أن نؤكد على أن هذه الدراسة ستظل محاولة للاقتراب من الفضاء في رواية السمك لايبالي في كل الأحوال.

ولايفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ "معمرى عبد الكرىم" لقاء توجيهاته التي مكنتنا من إخراج هذا العمل المتواضع إلى النور على صورته الحالية.

# مدخل نظري

## مدخل نظري:

تشكل الدراسات السردية ميدانا مهما يتيح لنا الكشف عن جماليات الخطاب، بوصفها بنايات دلالية تحمل قيما تعبيرية وفنية، وترسم للكتابة الروائية مساحة واسعة لتقديم القصد الروائي من خلال سير الأحداث وتفاعلها عبر زمان ومكان معينين. تأسيسا على ما سبق تتحقق أهمية تحليل البناء السردى قصدا إلى إبراز القيم التعبيرية والفنية للنص الأدبي والروائي، ولما كان الأمر كذلك كان لزاما التطرق لمفهوم السرد باعتباره الوسيلة التي يتم من خلالها نسج وإعادة تكييف الأحداث الواقعية والمتخيلة وتوزيعها في ثنايا النص الروائي.

لعل أبرز تحديد لعلم السرد هو: مفهوم "ميك بال" (miek bal) بأنه: العلم الذي يقبل صياغة النصوص السردية في بنيتها السردية باعتبارها الأسلوب أو الطريقة التي تفك بها شفرات النص وهي محددة بعلاقات تربط بين النص السردى "Texte Narratif" والحكاية "Recit" والقصة "Histoire"<sup>1</sup>.

في حين يراه آخرون بأنه: "الطريقة التي يختارها المبدع أو الروائي ليقدّم بيا الحدث أو أحداث المتن الحكائي و ليذا السرد أشكال كثيرة"<sup>2</sup>.

ومنه انحدرت الأجناس السردية المعروفة قديما و حديثا، كالأساطير و الخرافات و الحكايات الشعبية و المقامات و القصص و الروايات.

و باختصار "السرد هو المكون الجوهري في دائرة التصوير القصصي"<sup>3</sup>، وهذا ما أشارت إليه الدراسات الحديثة التي تهدف من أي قراءة إلى الاحتفاء بالنص الروائي واستنطاق مكوناته الفنية و محاورة العمل الأدبي ضمن مستويات التحليل و التأويل

<sup>1</sup> ينظر: Miek bal, Narratogie, paris, 1977, pp:4-13.

<sup>2</sup> عبد الملك مرتاض، في ونظرية الرواية، (دط)، دار الغرب للشر و التوزيع، وهران، 2005م، ص 37.

<sup>3</sup> عبد الوهاب الرقيق، في السرد -دراسات تطبيقية-، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس، 1998م، ص 183.

المختلفة، والوصول إلى رؤية عامة "هي خلاصة الفهم الشامل للفعالية الإبداعية في نواحي النسيج والبنية والدلالة والوظيفة"<sup>1</sup>.

وعليه فالتعرض لمفهوم البنية أمر لا بد منه على أساس منهجي يبين ماهية هذا المصطلح ودلالاته في مجال الأدب عامة والرواية خاصة.

### 1- مفهوم البنية:

أ. لغة: مما شك فيه أن مدلولات كلمة البنية كثيرة تصل حد التراكم بداية مما قد يجده الباحث في المعاجم العربية وانتهاء بالمعاني العديدة الاصطلاحية، كما هو الحال في "لسان العرب" لابن منظور حيث جاء فيه: "البنى نقيض الهدم، بنى البناء بنيا وبناء وبنى، مقصور، وبنائيات وبنية وبناية وابتناه وبنّاه (...) والبناء: المبني، والجمع أبنية وأبنيات جمع الجمع، واستعمل أبو حنيفة البناء في السفن فقال يصف لوحا يجعله أصحاب المراكب في بناء السفن: وإنه أصل البناء فيما ينمي كالحجر والطين ونحوه (...)، يقال بنية: وهي مثل رشوة ورشاء، كأن البنية الهيئة التي بنى عليها مثل المشية والركبة (...) يقال: بنية وبنى وبنية وبنى: بكسر الباء مقصور مثل جزية وجزى، وفلان صحيح البنية أي الفطرة، وأبنيت الرجل: أعطيته بناء أو ما يبني به داره"<sup>2</sup>.

ومن هنا فإن كلمة البنية بمشتقاتها وبجميع مدلولاتها الحسية والمعنوية لاتكاد تخرج عن هياكل الشيء ومكونه أو هيئته وعن التنظيم والترابط الموجود بين أجزائه ليكون كلا موحدًا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [سورة الصف، الآية 04].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (المسلم للمسلم كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضاً)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى: مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص 05.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه: خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح وإديسوفت، بيروت- لبنان، الدار البيضاء، ج1، 2006م، ص 492.

<sup>3</sup> العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري: شرح صحيح البخاري، دط، دار الريان للتراث، ج13، 1986م، ص 465.

## أ. البنية اصطلاحاً:

لقد خضع مفهوم البنية إلى تعريفات عديدة ومتنوعة بتتبع آراء ووجهات نظر النقاد الدارسين، فهي عند "محمد تحريشي" تتصف بخاصية التجدد "فكأنها دوامة مستمرة في الحركة والدوران من حول نفسها (...). وقد أكسبت هذه الخاصية الرواية القدرة على الانفتاح وتقبل قراءات متعددة"<sup>1</sup>.

يتبين من قول "محمد تحريشي" أن الرواية هي أكثر الأنواع الأدبية الحديثة التي تحتم على النقاد والدارسين إعادة النظر في تصوراتهم التقليدية عنها لأن بنيتها السردية دائمة التجدد لا تنفط وتتطور في وظائفها المتغيرة.

هذا ما أكدته "سيزا قاسم" في قولها بأنها "ليست منظومة ثابتة بل منظومة دائمة التحول"<sup>2</sup>، وهذا التحول الدائم في العلاقات بين عناصرها يؤدي بالضرورة إلى تغيير النسق نفسه بدلالاته ومعانيه.

في حين ذهب "الزواوي بغورة" إلى أنها "الكيفية التي تنظم بها عناصر مجموعة ما، أي أنها تعني مجموعة من العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر الأخرى"<sup>3</sup>.

نلاحظ بأن التعريف الاصطلاحي "للزواوي بغورة" أقرب ما يكون إلى التعريف اللغوي فهو يؤكد أن البنية تتشكل من مجموعة عناصر وجزئيات ملتحمة فيما بينها ويبقى كل عنصر منها متعلقاً بغيره من العناصر ضمن المجموعة ككل.

ويضيف "حسين خمري" أن البنية "تعني الشكل الداخلي للنص، وتهتم بالجانب التزامني للأحداث وعرضها"<sup>4</sup>، أي أنها تكشف عن عناصر النص الداخلية والعلاقات القائمة بينها وتصف الأحداث بأزمونها لتجسيدها في ذهن المتلقي.

---

<sup>1</sup> محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح، قراءة المكونات الفنية والجمالية السردية، دط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص 27.

<sup>2</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004م، ص 23.

<sup>3</sup> الزواوي بغورة، "مفهوم البنية"، مجلة المناظرة، جامعة قسنطينة، السنة 3، العدد 5، يونيو 1992م، ص 95.

<sup>4</sup> حسين خمري، فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2002م، ص 193.

من كل ما سبق يتحدد بأن البنية شبكة من العلاقات التركيبية التي تنتظم داخل العنصر الواحد وترتبط ببقية العناصر الأخرى في الشبكة ذاتها، لكن إشكال المفهوم يقع عند استحضار بعض المرادفات الاصطلاحية التي تقع على محيط هذا المصطلح المركزي للبنية، ويرجع ذلك إلى ترجمة مصطلح Structure، ترجمات متعددة قد يكون أهمها: التركيب، الهيكل، البنيان، البناء، هذا الأخير الذي لا بد من التمييز بينه وبين البنية للتداخل الكبير بين مفهوميهما، فهو يرتبط بالعلاقات العامة على خلق الالتحام بين عناصر الأعمال الفنية باختلافها، كما "يعني في مجال الرواية وضع النص الروائي داخل مجموع النصوص الأدبية السابقة عليه والمتزامنة معه"<sup>1</sup>.

وعلى الرغم من تقاربهما على مستوى اللفظ والمفهوم إلا أنهما يبقيان -رغم هذا- مختلفين في علاقتهما بالنص الأدبي.

---

<sup>1</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

# الفصل الأول

## الفضاء، تفاعلاته ووظائفه

أولاً: مفهومات الفضاء

1- في المعاجم العربية والغربية

2- في اصطلاح الدارسين والنقاد

ثانياً: تفاعلاته (علاقته بمكونات السرد الأخرى)

1- علاقته الفضاء بالزمن

2- علاقته الفضاء بالشخصية

3- علاقته الفضاء بالحدث

4- علاقته الفضاء بالوصف

ثالثاً: وظائفه

1- الوظائف الخارجية

2- الوظائف الداخلية



تمهيد:

تشهد مناحي الحياة في تفاصيلها على حضور المكان، وتفصح عن أثره، فما من حركة إلا وهي مقترنة به، وما من فعل إلا وهو مستوحا من بعض دوافعه، لأن المكان هو قرين الحياة الأساس، وجزء لا يتجزأ من كل الموجودات، صلة الإنسان به ذات أبعاد عميقة، وعلاقته به علاقة جدلية مصيرية، إنه حاضر بقوة وكثافة في حركاته وسكانته، حتى يمكن القول دون مبالغة إنته ما من قرين للتجربة الإنسانية كالمكان، بل يستحيل تصور لحظة من لحظات الوجود الإنساني خارج سياق المكان.

بيد أن المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس فيه نشاطه وأحواله، ويرتبط به نفسيا وجسديا ليس موضعا مستقرا له حسب، إنما هو أيضا مكان ثقافي يحول معطيات الواقع المحسوس وينظمها بتوظيفها المادي لسد حاجاته اليومية وبإعطائها دلالاتها من خلال إدخالها في نظام اللغة، فالمكان "لم يوجد إلا بقوة اللغة"<sup>1</sup>، إنها مخزون مجرد من العلامات ينوب عن عالم الواقع ويحل محله، وهذه العملية مشبعة بالقيم الدلالية على مستوى الفهم والتأويل والقراءات النقدية.

من هذا المنطلق يمكن اعتبار المكان العنصر الرئيس المشكل لبنية الفضاء الروائي، الأمر الذي أدى إلى الخلط بين كلا من المصطلحين عند أغلب الدارسين، فضلا عن أسباب وعوامل كثيرة تتمحور حول:

### 1- تعقيد والتباس وحدائث الموضوع:

إن العقلية العربية عموما والنقد منها على وجه الخصوص ترفض التسليم بحقيقة فقدان المستندات الحاسمة التي تؤصل لوجود المصطلحات النقدية والألوان الأدبية الحديثة الوافدة من الغرب أصلا في التراث العربي القديم، وقد تراكت جراء ذلك عشرات الدراسات التي

<sup>1</sup> Jean weisgerber, L'espace romanesque, op, cit, p10.

نقلا عن: حسن نجمي، شعرية الفضاء: المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص 46.



لاشغل لها إلا البحث في أصل فنون ونظريات أهي عربية المنشأ أم غربية الذي زاد الانتفاخ النظري الفوضوي الذي يعاني منه الناقد العربي، كما زاده عجزا أمام الدراسات التطبيقية، إذ اكتفى غالبا بتطبيقات ميكانيكية تفقد النص روحه الإنسانية ومضامينه المعرفية.

## 2- تبعية الخطاب النقدي العربي للخطاب النقدي الغربي:

لقد ظل عنصر الفضاء أمدا طويلا غائبا عن ساحة الدراسات الأدبية والنقدية في عالما العربي تحديدا، وبحكم القرب الجغرافي والعلاقات التاريخية والاستعمارية التي تربط أوربا ببلاد المغرب، فقد نقلت هذه المعرفة النقدية في محاولة لفهمها واستيعابها، لكنها اصطدمت بمشكلات أهمها الافتقار إلى الدوات المنهجية ووسائلها.

## 3- الترجمة:

إن ترجمة المعارف الغربية عموما لاتتم في إطار مؤسسات أو مجموعات منظمة، إنها -غالبا- نتاج مجهودات فردية، ولذلك عانت الترجمات العربية - ولازالت- من ظواهر سلبية عديدة مثل فوضى استعمال المصطلح، فالمصطلح النقدي الواحد قد يتقن بأسماء عدّة تختلف من مترجم لآخر، وهذا يؤدي إلى وقوع الباحث العربي في ارتباك معرفي<sup>1</sup>. إن النقاد والدارسين لم يتفطنوا لأهمية الفضاء وجليل قدره في النصوص الأدبية بشكل عام والروائية على وجه الخصوص "إلا خلال العقدين المنصرمين تقريبا"<sup>2</sup>، ورغم بروز دراسات حول الموضوع في وقتنا الحاضر إلا أنها بقيت متفرقة و "لم تتطور بعد لتؤلف نظرية متكاملة عن الفضاء الحكائي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: محمد صالح السلوم، الفضاء الروائي: نماذج تطبيقية من الرواية السورية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، تاريخ المناقشة: 25-11-2009م، ص 09.

<sup>2</sup> حمد بن سعود البلهيد، جماليات المكان في الرواية السعودية من 1390 حتى 1423هـ، أطروحة دكتوراه في الدب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف: أحمد السعدني، سنة المناقشة: 1426هـ-1427هـ، ص 01.

<sup>3</sup> حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، ص 53.



إن هذا العنصر الضروري في السرد والمكون الأساسي للنص يعد ملفوظا حكائيا قائم لذات، ولا يمكن مطلقا وبأي حال من الحوال تصور رواية دون تحديد إحداثياتها المكانية، ففيها تتجلى الأحداث وتتطلق، وعليها يتكئ الشخص للتعامل في إطار زمني يتكفل صاحب العمل بتحديدته.

لكل ما سبق اتجهت الأنظار في العصر الحديث للبحث أكثر في بنية الفضاء، فوقف الباحثون عند مفهوماته ودلالاته وإشكالياته ووظائفه وكل ما يتعلق به، وأقروا بهيمنته في الأجناس الأدبية وظهوره كقوى فاعلة تتفاعل مع مختلف العناصر السردية كالزمن والشخصية.

أولا: مفهومات الفضاء:

### 1- في المعاجم العربية والغربية:

لقد احتل الفضاء مكانته في المعاجم العربية، واستقر استعماله بشكل كبير على أنه موضع العيش والإقامة، أو التوسع المكاني، أو الحيز الذي يحوي الإنسان وأنشطته ويتسع ليشمل الأرض بما عليها، حيث جاء في "لسان العرب": "فضا يفضو فضا فهو فاض، وقد فضا المكان وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأوصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه (...). والفضاء الخالي الفارغ الواسع من الأرض"<sup>1</sup>.

ويؤكد المعجم الوسيط ما سبق فيُعرف الفضاء على أنه: "ما اتسع من الأرض، والخوالي من الأرض ومن الدار، وما اتسع من الأرض أمامها، وما بين الكواكب والنجوم من مسافات لا يعلمها إلا الله"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابه منظور، لسان العرب، ضبط نصه و علق حواشيه: خالد رشيد القاضي، ط 1، دار صبح و إديسوفت، بيروت- لبنان، الدار البيضاء، ج10، 2006، ص 269.

<sup>2</sup> أحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار الدعوة للتأليف والنشر، 1989، ص 301.



وهذا ما ذهب إليه "الفيومي" في "المصباح المنير" حين قال بأن "الفضاء بالمد المكان الواسع، وفضا المكان فضوا من باب قعد إذا اتسع، فهو فضاء، وأفضيت إلى الشيء وصلت إليه (...)"<sup>1</sup>.

وكذلك الأمر بالنسبة لـ "الصباح" فلقد ورد فيه أن: "الفضاء الساحة وما اتسع من الأرض، يقال: أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء"<sup>2</sup>.

غير أن المتمعن في التعاريف المعجمية السابقة يلاحظ مدى التقارب الكبير بين مصطلحات: الفضاء، المكان، الحيز، الجو، الموقع،... ما يعيدنا مرة أخرى إلى إشكالية مصطلح الفضاء التي تطرح نفسها بالتفصيل عند التطرق للمفهوم الاصطلاحي، للفضاء.

ثم إن الباحث في الدراسات الغربية يجد بأن الفرنسيين والانجليز قد اشتقوا مصطلحي Sâtuim (Space) Espace اللاتينية، وه تعني أساسا الامتداد واللامحدود الذي يحوي الامتدادات الجزئية المحددة، في حين لم يعرف الإغريق لفظة الفضاء إذ لم تظهر في لغتهم كلمة تدل على المكان إنما عرفوا لفظة Topos وتعني الوقع<sup>3</sup>.

فهو اتساع لا متناهي يحتوي كل الأشياء، وهو اتساع في الكون خارج الغلاف الجوي الأرضي (الفضاء الخارجي)، كما أنه يعني تمدا واتساعا في المساحة.

وهكذا نجد بأن الفضاء عند الغرب يعني ذلك المحيط اللانهائي والامتداد الواسع العام الذي يحوي ما كان بين طياته من امتدادات ومساحات أصغر تسمح للإنسان بالتنقل فيه بكل أريحية وسهولة.

<sup>1</sup> احمد بن محمد بن الفيومي المقرئ، المصباح المنير، ط1، دار الحديث للنشر والتوزيع، 2003م، ص 283.

<sup>2</sup> أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الغارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج6، ص 4866.

<sup>3</sup> ينظر: زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب انقدي العربي المعاصر، رسالة ماجستير، قسم اللغة الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص ص 01-02.



2- في اصطلاح الدارسين والنقاد:

أ- عند الغرب:

تعد الدراسات الغربية التي أقيمت حول مكوّن الفضاء وفي الحكي بخاصة تمهيد مشرقا للاهتمام به ومعرفة قيمته، إلا أنها لاتزال في بدايتها ولم ترتق بعد لتبني أنموذجا نظريا متكاملا يمكن للنقاد الاستناد عليه في تحليلاته للأعمال السردية.

فالتضارب والتباين واضح بين رؤى وتصورات النقاد والدارسين الغربيين حول مفهوم الفضاء، فهذا "غاستون باشلار" (Gaston Bachelard) يرى أن: "المكان الذي يجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز"<sup>1</sup>.

فهو قد اهتم بجماليات المكان ودرس القيم الرمزية الخاصة به رابطا إياه بنفسية الإنسان وبتقنيات التخيل السردية، فقدره السارد تتجسد في: "تحويل المكان الذي تجري فيه أحداث القصة -حقيقيا كان أم تخيليا- من وجود ذهني إلى لغة مكتوبة باستطاعة القارئ فك رموزها ودلالاتها وإعادة تشكيل المكان الذي يصوره الروائي وفقا لما يقدمه له العمل الحكائي من إمكانات فضائية"<sup>2</sup>.

من هذا المنطلق يمكن التمييز بين مستويات متعددة للمكان تعكس بعض التصورات الموجودة عنه والتي أنتجت دراسات ساهمت في خلق الخطاب الروائي فيتمظهر من خلال تلك المستويات في شكله الجغرافي، النصي، الدلالي والرؤيوي.

\* الفضاء الجغرافي L'espace géographique: وهو مقابل لمفهوم المكان او معادل له، ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي كما ذهب إلى ذلك "جوليا كريستيفا" (Kristeva)

<sup>1</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 31، نقلا عن: صالح ولعة، المكان ودلالته في روايته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، 2010، ص 41.

<sup>2</sup> سعيد يقطين، قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، (دط)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997، ص 238.



(Julia)، حيث لم تجعله منفصلاً عن دلالاته الحضارية، فهو يتشكل من خلال العالم القصصي بما فيه من شخصيات وأبطال حاملاً معه جميع الدلالات الملازمة له.

\* الفضاء النصي L'espace textuel: ويقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها على مساحة الورق، ويشمل طريقة تصميم الغلاف وتنظيم الفصول.

\* الفضاء الدلالي L'espace sémantique: كما تطرق له "جيرار جينات" باعتباره يرتبط ويتأسس بين المدلول المجازي والمدلول الحقيقي.

\* الفضاء كمنظور أو كرؤية: وهو الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح<sup>1</sup>.

معتبراً الفضاء الأول (الفضاء الجغرافي) والثاني (النصي) مبحثين حقيقيين في الحكى، بينما المفهومان الأخيران مرتبطان بمباحث أخرى كالصورة في الحكى وزاوية النظر عند الراوي.

وقد يكون إحساس المبدع والفنان دون غيره بالفضاء إحساساً عميقاً، من هنا وُلدت علاقة الفضاء بالأدب إذ لا يخلو أي عمل من استحضار هذا المكون، ولعل هذا ما دفع "غابرييل مارسيل" (Gabriel Marcel) إلى القول بأن: "الإنسان غير منفصل عن فضاءه، بل إنه هذا الفضاء ذاته"<sup>2</sup>.

فلا وجود لأن كائن دون فضاء يحويه ويلقّه ويشعره بالأمن والطمأنينة، إنه يعيش فيه ومعه، يخترقه ويحس بكينونته أينما حلّ.

وقد عَ "يروي لوتمان" فضاء النص مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية، حيث يرى في كتابه "بناء النص الفني" بأن الإنسان يخضع للعلاقات

<sup>1</sup> ينظر: حميد لحداني، بنية النص السردي، ص 62.

<sup>2</sup> حسن نجمي: شعرية افضاء السردى، ص 40.



الإنسانية والنظم لإحداثيات المكان، ويلجأ إلى اللغة لإضفاء إحداثيات مكانية على المنظومات الذهنية<sup>1</sup>.

ويذهب "شارل غريفل" إلى اعتبار "المكان الرواية هو الذي يكتب القصة قبل أن تسطرها يد المؤلف"<sup>2</sup>.

يتضح مما سبق مدى أهمية الفضاء في العمل الروائي من جهة، ومدى تأثيره في الحدث الروائي من جهة أخرى، على أساس أنه يضرب بجذوره في هوية الذات البشرية، التي لا تكتمل داخل حدود ذاتها بل تتبسط خارج هذه الحدود، حيث المكان الذي يمكنها أن تتفاعل معه.

#### ب- عند العرب:

يعد اهتمام النقد العربي بالفضاء الروائي حتمية فرضتها الرواية العربية الجديدة التي باتت تهتم بهذا المكون الجوهرى، فهو بمثابة مسرح الأحداث الزاخر الذي لا يمكن لأي ممارسة سردية أن يكتب لها التحقق بدون وجوده كأولوية من الأولويات، كما أنه بناء لغوي يُشيد به خيال الروائي ليضمه كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها. فسخر (النقد) لذلك دراسات نظرية وتطبيقية حاولت تخصيص الوعي النقدي بمتابعة مسار الرواية العربية بمظاهرها وخصائصها الفنية التي تميزها عن الرواية التقليدية مستفيدة من ذلك من الدراسات الغربية في هذا المجال.

وبهذا الصدد نكون أمام عدّة جهود أسالت المداد تنظيراً وتطبيقاً وأضاءت طريق النقد العربي في تصوّر الفضاء، ولكن ورغم محدودية الدراسات العربية إلا أن كل باحث في هذا الموضوع يجد نفسه أمام كمّ هائل من المصطلحات، ما جعله يبدو "كضيف ثقيل، الكل

<sup>1</sup> سيزا القاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص 104.

<sup>2</sup> صالح ولعة، المكان ودلالاته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، ص 54.



ينظر إليه شزرا نظرا لكثرة المفاهيم التي يلتبس بها، بحيث يصاب الناقد والقارئ غير المتمدرس بالدوار وذلك أمام ميوعة المفهوم وسيولته غير المنضبطة<sup>1</sup>.

ويكفي لندال على ذلك تفضيل "عبد الملك مرتاض" لمصطلح "الحيز" في كتابه (القصة الجزائرية المعاصرة) حيث يقول: "إذا كانت الجغرافيا خاصة بالحيز الواقعي فإن الحيز، لدينا، هو ما ليس جغرافيا، ولكنه عالم صنعته الكتابة الأدبية، ولذلك فالحيز من منظورنا لا يلمس فقط في العمال السردية وهو ما يقفه غيرنا عليها وحدها...، ولكن يتلمس في جميع الكتابات الأدبية"<sup>2</sup>.

وبتعبير آخر فالحيز "ليس هو فقط الفراغ، ولكنه يشمل الامتدادات والخطوط و الأحجام والأوزان والظلال والاتجاهات التي تقع في حركة الأسفار"<sup>3</sup>.

ولا يكتفي الناقد بالتفرد لاستخدامه لهذا المصطلح فقط بل ويدافع عنه في كل كتاباته النقدية المتعلقة بالسرد، ففي كتابة (نظرية الرواية) يرفض رفضا تاما تسمية أخرى غير الحيز ويدعو إلى ضرورة استعماله لما له من أصول وتقرّد فيقول: "حاولنا أن نذكر في كل مرة عرضنا فيها لهذا النص مفهوم علة إيثارنا مصطلح الحيز وليس الفضاء الذي يشيع في الكتابات النقدية العربية، ولعلّ أهم ما يمكن ذكره هنا (...) أن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضروري أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحكم... على حين أن المكان يزيد أن نوقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده"<sup>4</sup>.

وبهذا فإن الحيز من منظور يشمل المبنى الحكائي ككل ويضم عدة فضاءات، وما المكان إلا نوع من هذه الفضاءات وهو الذي يمثل الفضاء الجغرافي.

<sup>1</sup> عبد الرزاق المساوي، الفضاء في مملكة الروح والرماد، مجلة المشكاة، العدد 25، 1987م، ص 12.

<sup>2</sup> عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ط4، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007م، ص 134.

<sup>3</sup> عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ص 134.

<sup>4</sup> عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، (دط)، مطابع الرسالة، الكويت، 1988م، ص 141.



في حين نجد "عبد الرحيم مراشدة" يتعرض على مصطلح الحيز الذي اختاره "عبد الملك مرتاض" بحجة أن هناك نوعين للفضاء، الأول خاص يحتوي على الجزئيات والأشياء، مع الحيز الذي تشغله، والثاني عام يحيل إلى علاقة الشيء الملموس بالأشياء من حوله متجاوزا الحيز الذي يشغله، وهذا ما يجعل مصطلح الحيز قاصرا في نظره وغير قادر على الإيفاء بالمعنى المراد<sup>1</sup>.

بينما تحيز بعض النقاد إلى مصطلح المكان فكان أكثر المصطلحات شيوعا على أساس أنه ما "يتركز فيه مكان وقوع الحدث"<sup>2</sup>، فسيزا قاسم مثلا تميل لمصطلح المكان في كتابها "بناء الرواية" حيث أدرجت له فصلا كاملا (وهو الفصل الثاني) بعنوان "بناء المكان الروائي"<sup>3</sup>، وهي تعترف بوجود مستويين من المكان، الأول "محدد يتركز فيه مكان وقوع الحدث، والآخر أكثر اتساعا يعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه أحداث الرواية"<sup>4</sup>، والواقع أنهم (مؤيدو مصطلح المكان) ينطلقون في تأييدهم من الدراسة الغربية في هذا المجال خاصة بعد تعريب كتاب "شعرية الفضاء" لـ "غاستون باشلا" على يد "غالب هلسا" حيث استعمل بمصطلح "جماليات المكان".

وقد أخذ عدد من الباحثين على "غالب هلسا" هذه الترجمة لأنه ساوى بين الفضاء والمكان وجعلهما مترادفين، ولم يُلَقْ بالالفروق الجوهرية الكامنة بينهما، ومن جملة هؤلاء "حسن نجمي"<sup>5</sup>، و"حميد لحمداني"، هذا الأخير الذي دعا إلى ضرورة التمييز بين الفضاء والمكان على أساس أن المكان هو مجموعة الأشياء المحيطة بنا كالبيت والمقهى والشارع،

<sup>1</sup> صفاء المحمود، البنية السردية في روايات خيرى الذهبي (الزمان والمكان)، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، شعبة الدراسات الأدبية، جامعة البعث، إشراف غسان مرتضى، سنة المناقشة: 2009-2010، ص 28.

<sup>2</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص 105.

<sup>3</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص 205.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص ص 75-76.

<sup>5</sup> حسن نجمي، شعرية الفضاء، ص 42.



و"مجموع هذه الممكنة، هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه إسم: فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون للفضاء...، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية"<sup>1</sup>.

فالناقد يرى بأن الفضاء يمثل مجالا أكثر انفتاحا من المكان، فهو شمولي وأوسع وأعم ولما كان هذا المكان دوما متعدد الوجه والأشكال فإن فضاء الرواية هو الذي يجمعها كلها، فهو بمثابة الأفق الرحب لها.

كما يؤكد "محمد بنيس" ضرورة التمييز بين المصطلحين، فيذهب إلى أن "أسبق الأولويات هو تمييز الحدود بين مصطلحين، بتسامح عفوي هما "الفضاء" و"المكان"، لاعتقادنا أن ضبط حدود بين هذين المصطلحين سيسمح باستثمار طبقات أرضية ماتزال معدمة في القراءة النصية"<sup>2</sup>؛ فالمكان باختصار ليس معادلا للفضاء، و مادام الول مكونا للثاني وجزء منه فإنه بحاجة دائمة له، فكأنه سبب وعلّة وجوده.

ويجدد "عمرو كناري" الفضاء المؤنس الذي تتحرك فيه الشخصيات بناء على درجة إدراكها لهذا الفضاء ووعيها بقضاياها، انسجاما مع مصطلحتها التي هي في الغالب مصلحة الطبقة التي تنتمي إليها، والمتحدثة بلسانها"<sup>3</sup>.

وهنا يتقاطع تحديد مفهوم الفضاء الروائي، مع ما ذهب إليه من قبل الكاتب "حسن نجمي" في أطروحته "الفضاء والهوية في روايات سحر خليفة"، حيث يعتبر أن سؤال الفضاء يكمن في تجاوز العائق النظري الذي يجعل النص الأدبي -بوصفه نصا لغويا- زمنيا بالضرورة؛ أي لا يمكن تلقي علاماته إلا متسلسلة ومتتابعة زمنيا، في حين أن العمل

<sup>1</sup> حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 63.

<sup>2</sup> محمد بنيس، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاته، ج3، ص 112. نقلا عن: حسين نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 42.

<sup>3</sup> عمرو كناري، الفضاء الروائي في أعمال سحر خليفة، ط1، مطبعة أنفورييت، فاس- المغرب، 2011م، ص 34.



التشكيلي يقدّم علامته دفعة واحدة من حيث إن العلامات التصورية قائمة على منطق التجاور والتزامن<sup>1</sup>.

وبعيدا عن كل الخلافات الناتجة بشأن تحديد دلالة مصطلح وما له علاقة بالمكان والحيز والفراغ وغيرها على تباين آراء النقاد والباحثين العرب فإنه يُعد بحق مكسبا من مكاسب الحركة النقدية الحديثة، "فهو يستحث بجدارة أن يكون (عنصرا مهيمنا) في العمل الروائي، بمعنى كثيرا من الروايات العالمية والعربية تستحق أن يُطلق عليها بعض النقاد (رواية الفضاء)"<sup>2</sup>.

فأصبح الدارس ينظر إلى "حضور الفضاء لابوصفه أمكنة تدور فيها الحداث والوقائع الحكائية أو تتمركز حولها الفاعلية الشعرية، بل الفضاء كوعي عميق بالكتابة جماليا وتكوينيا، الفضاء كشكل ومعنى، الفضاء كذاكرة وهوية وجود، الفضاء كسؤال إشكالي ملتصق بوعينا الثقافي والاجتماعي، والجمالي وينسجها الميسكلوجي والمعرفي والإيديولوجي"<sup>3</sup>.

وبهذا اكتسى الفضاء حلة فانتقل من كونه مجرد أبعاد هندسية مادية محددة في إطار جغرافي إلى ارتباطه بأبعاد أخرى تحمل قيما حسية وجمالية تدفع بنا إلى التخيل والتذكر، وهذه الأبعاد تفسرها منطقيا العلاقات الكامنة في النص، وتوضح الرابط بين العناصر في البناء الروائي.

وانطلاقا من علاقة الفضاء بهذه العناصر السردية كان من الممكن النظر إليه منعزلا، بل لابد من البحث في عملية تشكيله وتفاعله بينه وبين العناصر الأخرى المكونة للرواية كالزمن والشخصية والوصف... وغيرها.

<sup>1</sup> ينظر: حسن نجمي، الفضاء والهوية في روايات سحر خليفة، دط، العلم الثقافي؟، 1997م، ص 04.

<sup>2</sup> محمد عز الدين تازي، الرواية والافضاء الروائي، مداخلة مقدّمة لندوة الرواية العربية، رابطة أبناء الجنوب، أغادير، 2011م، ص 01.

<sup>3</sup> حسن نجمي، شعرية الفضاء، ص 12.



ثانياً: تفاعلاته (علاقته بمكونات السرد الأخرى):

### 1- علاقة الفضاء بالزمن:

رغم أهمية الفضاء السردى واستحالة تشكيل النص الروائي بمعزل عنه، ورغم كونه من أهم التقنيات التي ينهض عليها العمل الدبى، إلا أن أهميته الحقيقية في النص لا تتجلى إلا من خلال جملة العلاقات والتفاعلات التي يقيمها مع العناصر الأخرى في السرد، ولعلّ أريزها علاقته بالزمن السردى.

ولقد شغل الزمن بالدارسين واستقطب اهتمامهم منذ الأزل، وذلك لارتباطه بالفلسفة والأدب والعلم، بل وبكل ما يمت للإنسان من قريب أو من بعيد، فهو يشكل إطار كل حياة، وحيث كل فعل وكل حركة، بل ويعدّ الإطار الحافظ لكل الموجودات وحركتها وسيرها ونشاطها.



وُدُقَ مفهوم الزمن في كل المجالات من جميع النواحي المتعلقة به، فاهتم المناطقة بمفهوم الزمن الرياضي، والفلاسفة بالزمن الماورائي، واللغويون بزمان الكلام وعلاقة الظواهر اللغوية به، سواء من الناحية الفيزيائية أو اليزيولوجية، ولأهميته ودوره فقد طوّع في الدراسات الأدبية والنص الروائي خصوصا، وتعامل معه النقاد والدارسون، وبنوا له تصورا انطلاقا من التمييز بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي.

ومهما كانت شساعة المساحة الزمنية وتمظهراتها وأشكالها، إلا أن الزمن يبقى ملخصا ومقيدا بثلاثة أبعاد هي: الزمن الماضي، الحاضر، المستقبل، وهذه الأبعاد نحسّها في نواتنا ونفكر وفق تحديداتها، لكن لا يمكن أن نلمس أحدها حتى يغيب بعضها عن الآخر، كما أنها تقدّم نفسها انطلاقا من علاقتها بالفضاء، "فالزمن ليس إلا صورا منضدة للأمكنة وتوقيفية فضائية"<sup>1</sup>، كما أن "الحديث عن مكان محدد في الرواية يفترض دائما توقفا زمنيا لسيرورة الحدث"<sup>2</sup>، فإذا كان الفضاء هو الإطار الطبيعي لأحداث الرواية، والمسرح الذي تتحرك فيه شخصياتها، فإن الزمن هو الرباط الذي ينظّم أحداثها، والسلسلة التي تربط بين حلقاتها، ومن دونه تصبح الأحداث مشوشة مضطربة لا يمكن فهمها.

وهذا ما يبرر ذهاب كثير من الدارسين من أمثال "هنري ميتران"، إلى أن الزمان والفضاء جوهريتان في الرواية، يستحيل الفصل بينهما، ذلك أن الحركة الزمانية "لا تتجسد إلا من خلال المكان، فالعلاقة بين الزمان والمكان جدلية لأن وجود أحدهما يشترط وجود الآخر"<sup>3</sup>، إضافة إلى أن "الزمن يعد من أبعاد المكان، ولا معنى له إلا بانخراطه في الظاهرة المكانية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حسن نجمي، شعرية الفضاء، ص 48.

<sup>2</sup> حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 63.

<sup>3</sup> فرحان اليحي، تجليات المكان في أقاصيص جولانية: دراسة نقدية بنيوية، مجلة الموقف الأدبي، العدد: 382، 2003م، ص 150.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص ن.



على هذا النحو، تتبنى خصوصية العمل الروائي انطلاقاً من تفاعل عنصري الزمان والمكان لتشكل بذلك فضاء زمكانياً من خلاله المصائر والتناقضات ذات القيم البعدية الضاربة بجذورها في أصول الرواية العربية إذ يستحيل تجريد الأحداث الروائية من الزمن الذي يبقى لصيقاً بها على طول المسار السردى ليحدد هويتها وعلاقتها داخل بنية هذا المسار، كما يستحيل تناول الزمان بمعزل عن تضمين الفضاء في أيّ مظهر من مظاهره، وهو تأكيد جديد على التلازم المعقود بين الفضاء والزمن، فهما جزءان لا ينفصلان من الفضاء السردى عامة والروائي خاصة، إذ لم يعد ممكناً تخيل فضاء الرواية دون تخيل الزمن الذي يبني من خلاله، فالزمن قد أصبح البعد الرابع للفضاء مما يعني أن حضور أحدهما منوط بحضور الآخر.

## 2- علاقة الفضاء بالشخصية:

يرتبط الفضاء -إضافة إلى الزمن- مع الشخصيات بعلاقة متينة، فهو لاقيمة له إذا لم يحفل بشخصياته التي تمنحه المعنى، وتُسهّم في إغنائه بالدلالات من خلال العلاقات المختلفة التي قد تدخل فيها هذه الشخصيات مع المكان، كعلاقة التنافر أو الحياد أو الانتماء<sup>1</sup>.

فلا أحد يجادل في كون الشخصية تقع في صميم الوجود الروائي ذاته، إذ لارواية بدون شخصية تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها المكاني، "وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على المكانة الهامة التي تحتلها الشخصية في علاقتها بالخطاب الروائي وفي علاقتها أيضاً بالقارئ الذي أصبح المنتج الثاني للنص، وفي ذلك يرى "رولان بارث" أن الخطاب ينتج الشخصيات فيتخذ منها ظهيرا"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 30.

<sup>2</sup> عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 72.



إن الشخصية هي المنتجة والقائمة بالفعل، وفوق ذلك تعتبر "العمود الفقري للعمل الروائي"<sup>1</sup>، و"العصب الحي والمؤثر في البناء الفني للرواية كلها"<sup>2</sup>، ومن خلالها "تتكامل مختلف العناصر الروائية الأخرى كالحدث والزمان والمكان"<sup>3</sup>، فهي الشيء الذي تتميز به الأعمال السردية عن أجناس الأدب أساسا، وبناء على عدميتها أو كينونتها يتحدث الجنس الأدبي، فاللغة لوحدها لاتكاد تحمل شيئا من الحياة والجمال، والحدث وحده وفي غياب وجود الشخصية يستحيل أن يوجد في معزل عنها، لأن هذه الشخصية هي التي توجده وتنهض به، والفضاء يخمد ويخرس إذا لم تسكنه كائنات تؤثر فيه وتتأثر به، فالإنسان "يعلن دائما عن حاجاته إلى إقرار وجوده والبرهنة عن كينونته من خلال الإقامة في مكان ثابت سعيا وراء رغبة متكاملة في الاستقرار وطلب الأمن للذات"<sup>4</sup>.

ومن خلال الحدث والشخصيات ينتقل الفضاء من عالم الركود والسكون إلى عالم الحركة والحياة، عالم مُفعم بالحضور والخلق، الأمر الذي يُكسب كونه الدلالي وقيمه الرمزية، لأنه أساسا مرتبط بخطية الأحداث وبمميزات الشخصية، وهذا الارتباط هو الذي سيحقق دلالاته الخاصة وتماسكه الإيديولوجي.

### 3- علاقة الفضاء بالحدث:

إن ارتباط الفضاء بالحدث أمر لا يمكن أبدا إنكاره، "فالمكان لا يتشكل إلا باختراثاق الأبطال له وليس هناك بالنتيجة أي مكان محدد مسبقا وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال ومن المميزات التي تخصهم"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 05.

<sup>2</sup> عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في الروايات لنجيب محفوظ، ط1، دار الحدائفة، بيروت، 1986م، ص 07.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص ن.

<sup>4</sup> حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص 08.

<sup>5</sup> حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.



فالفضاء إذن هو ما يجعل الأحداث تقع في العديد من الممكنة التي تنتظم داخل الفضاء الروائي، فكأنما هو بمثابة الديكور في المسرح، لكنه في آن واحد يُبَوِّئ الأحداث في الأمكنة وما تعيشه من أزمنة.

ومن هنا تأتي الصبغة الاستثنائية لعلاقة الفضاء بالحدث، فالروائي ينتقي بعناية و باحترافية فنية الأحداث الواقعية أو الخيالية التي يشكل بها نصه الروائي، فهو يحذف و يضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني ما يجعل من الحدث الروائي شيئاً مميزاً مختلفاً عن الوقائع في عالم الواقع، ولكي ينمو ويتطور فهو يبقى محتاجاً إلى عناصر زمانية ومكانية "فالحدث الروائي لا يقدّم سوى مصحوباً بجميع إحداثياته الزمانية و المكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدي رسالته الحكائية"<sup>1</sup>.

وبالتالي يمكن القول أن الارتباط الإلزامي والتفاعلي بين الفضاء الروائي والحدث هو الذي سيمد الرواية بمزيد من التناسق والانسجام والتماسك، ويقرّر المسار الذي يتّبعه اتجاه السرد لتشديد الخطاب.

#### 4- علاقة الفضاء بالوصف:

رغم كون الوصف سمة عامة لكل شيء في الحياة، ورغم أنه لفظ معروف ومتداول لدى الجميع إلا أن الدارسين لم يتوصلوا إلى مفهوم مشترك له نظراً لصعوبة تعريفه، يقول قدامة بن جعفر: "الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص ن.

<sup>2</sup> سبزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارناتية في ثلاثية نجيب محفوظ، ص 11.



ويذهب "حميد لحداني" إلى أن "الوصف هو أداة تشكل صورة المكان"<sup>1</sup>، بينما تعرفه "سيزا قاسم" بقولها: "الوصف هو تشخيص لأشياء وأشخاص"<sup>2</sup>.

وقد ظهر الدور المتزايد للوصف في بنية الخطاب الروائي في القرن الثامن عشر وتحول تدريجياً إلى هدف مستقل عن السرد في القرن التاسع عشر، ليتحول إلى فعل خلاق ضروري في سياق الحكى وفي الأشكال الروائية المعاصرة، وأصبح تشغيل الوصف أمراً ضرورياً في هذا المجال لوظيفتين أساسيتين وعميقتين يقوم بهما؛ الأولى جمالية تزيينية للحدث السردية، أما الثانية فتوضيحية تفسيرية تكون وظيفتها رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكى<sup>3</sup>.

أما الوظيفة الثانية فإبهامية تدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي ليشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال<sup>4</sup>. وبناء على ذلك يمكننا القول أن معطيات النصلاتقف عند المظهر الخارجي فحسب، وإنما تمتد لطبيعة التعامل مع الفضاء بوصفه عنصراً بنائياً للبحث عن الكيفية التي يتم فيها عرضه للقارئ وتمثيله في شكل يجعل النص الذي ينتجه متميزاً بتميزه، وتُعد لغة الوصف أهم وسيلة لربط المتلقي بفضاء الرواية.

وما يمكننا قوله في الأخير عن علاقة الفضاء بالمكونات السردية الأخرى أنها علاقة متينة ومتماسكة وإلزامية، فالأحداث أو الأفعال تقوم بها الشخصية الروائية، في حين أن هذه الشخصية، غير معزولة عن زمانها ومكانها، وكل هذه المكونات تتضح في ذهن المتلقي بفضل خاصية الوصف.

### ثالثاً: وظائفه.

<sup>1</sup> حميد لحداني، بنية النص السردية ص 80.

<sup>2</sup> حسن نجمي، شعرية الفضاء: المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 72.

<sup>3</sup> ينظر: حميد لحداني، بنية النص السردية، ص 79.

<sup>4</sup> ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 115.



يؤدي الفضاء كغيره من البنى الحكائية ووظائف لا يمكن إغفال دورها الفعال ومميزاتها في الرواية، ومن دون وظائفه يصبح فهمنا للأحداث مستحيلا، وهذه الوظائف تنقسم إلى قسمين:

### 1- الوظائف الخارجية:

نقصد بها جملة الوظائف الخارجية عن عالم القصة الداخلي؛ أي تلك الوظائف المتمثلة في الإيفاء بغير مقتضيات القصة و حركتها، والواقع أنها ذات تأثير ثانوي تفيد في إطلاع القارئ على الحالة العامة للمكان، والصفات التي تجمع بين أفرادها، وتقسّم بدورها إلى:

#### أ- الوظيفة التعليمي:

نجدها عادة في القصص التاريخية، وفي جميع القصص التي توضع لتعليم وتلقين المعلومات التاريخية وغيرها، وهنا يكون المكان وما يتصل به مجرد أداة لتحقيق هذه الوظيفة التعليمية بالمدن والأماكن المختلفة.

#### ب- الوظيفة المعرفية:

وتتمثل أساسا في تقديم معطيات البيئة في المستويات الاجتماعية والطبقية والعائلية، وهي معطيات لا يتطلبها عالم القصة في الحقيقة أو في إبراز مقومات وسط معين أو طبقي معين، تحيل عليه الماكن في سماتها المختلفة.

#### ج- الوظيفة النقدية:

قد يجعل المكان وسيلة لتحقيق وظيفة نقدية، ولتقديم جملة من الآراء الفكرية والحضارية المتعلقة بالمجتمع، انطلاقا من مواقف الكاتب لامن عالم القصة، والغالب في هذه الحالة أن تكون الماكن متجانسة لا لعالم المغامرة الداخلي، ولا لعالم الواقع، ومن أمثلة ذلك سمات القرية والمدينة في دعاء الكروان ل طه حسين، حيث وسمت الأولى بالخشونة والردائل وجميع السلبيات فهي خشونة وجهل وغفلة، ووسمت الثانية بالعلم والنور والبهاء وجميع



الإيجابيات فهي أمان وحضارة ورتف وثناء، وسمات هذين العالمين راجعة إلى أسباب معروفة بعيدة عن مقتضيات قريبة من نفس طه حسين<sup>1</sup>.

وباختصار، فالوظيفة النقدية مفيدة في نقد الأحكام والقوانين التي تحكم المكان سلبيًا وإيجابيًا، ويطلق من خلال ذلك حكم نقدي يتناسب مع المقام.

### 2- الوظائف الداخلية:

هي القسم الثاني من وظائف المكان، وتختصر في أنها تعبر عن شعور ذاتي أو شعور جماعي لأبطال الرواية، فأما الأول فهو ذات السارد وما يحس به اتجاه هذا المكان، وأما الآخر ففيه يتخذ السارد من المكان مسرحًا للتعبير عما يحس به قاطنوا هذا المكان، إضافة إلى أن المكان في هذه الحالة يلعب دور المتحكم في حركة القصة وفعالية الشخصيات، وفي كل ما يربطها ببعضها البعض، وفي هذا يقول "هنري متران": "الفضاء المكاني هو أحد العناصر الفاعلة التي عليها يقوم العمل القصصي، وإذا ما جعلنا للمكان هذه الأهمية فإن موقعه وملامحه ودلالاته الحضارية والاجتماعية وغيرها تكون محكمة وفاعلة وذات نظام وثيق الصلة بنظام القصة لكي يتغلب على الأماكن ذات الوظائف الداخلية أن تكون متحررة من تسلط منشئها وثيقة الصلة بعالم القصة الداخلي وبنظامه وحركة نموه التلقائي الذاتي"<sup>2</sup>. وهكذا "يبدو المكان كما لو كان خزّانًا حقيقيًا للأفكار والمشاعر والحدوس"<sup>3</sup>، وعنصرًا فاعلًا في تطور الرواية وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفي علاقات بعضها ببعضها الآخر، فيتجاوز وظيفته الأولية المحددة، بوصفه مكانًا لوقوع الأحداث إلى وظائف أكثر عمقا، لعل أبرزها:

<sup>1</sup> ينظر: الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دط، دار الجنوب للنشر، دت، ص ص 61-62.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 58.

<sup>3</sup> حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص 31.



أ- "المساهمة في رسم الشخصية من خلال التي يعيش فيها، أو الأوساط التي يتردد عليها حتى ليعسر تصور الشخصية خارج الأماكن التي تعيش فيها"<sup>1</sup>.

وبذلك يصبح المكان وسطا حيويًا تتجسم من خلاله حركة الشخصيات التي تأخذ في مسارها خطًا مزدوجًا متناقضًا؛ إذ تبدو أحيانًا متداخلة ومتشابكة، إلا أنها في أحيان أخرى تبدو متنافرة ومتباعدة فتظهر في شكل وحدات درامية منفصلة "توحي بمدى ما تتميز به كل شخصية من استقلال واكتفاء، ومن ثم فهي رهينة عالمها الخاص وتجربتها الإنسانية الفريدة"<sup>2</sup>.

وفي هذا إشارة إلى البعد النفسي للمكان داخل النص، إلى جانب وظائفه الفنية وأبعاده الاجتماعية والتاريخية والإيديولوجية التي تربط بالمكان ولا تفارقه.

ب- "احتواء الزمن مكتفًا في مقصوراته المغلقة التي لاحصر لها"<sup>3</sup>، ومنه فوظيفة المكان هي قابليته لاستيعاب الزمن مكتفًا فيه، وهو ما يُطلق عليه بـ (الزمانى الروائى) الذي يعنى على حدّ تعبير "باختين" (bakhtine) "العلاقة المتبادلة الجوهرية بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب استيعابًا فنيًا"<sup>4</sup>.

ج- يعد المكان الإطار المحددّ لخصوصية اللحظة المعالجة، والحدث لا يكون في اللامكان، بل إنه في مكان محدد، والبنية المكانية لنص من النصوص هي "تحقق لأنساق مكانية أكثر عمومية - قد تكون هذه الأنساق إما نسقا مجملا لأعمال كاتب معين، وإما نسق تيار من التيارات الأدبية، وإما نسق ثقافة من الثقافات الإقليمية - وتتمثل دائما هذه

<sup>1</sup> الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 58.

<sup>2</sup> سعد عبد العزيز، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، دط، مكتبة الأنجلو المصرية والمطبعة الفنية، 1970م، ص 79.

<sup>3</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 45.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 44.



البنية في صيغة من صيغ النسق العام، غير أن المكانية الخاصة تدخل أيضا وبطريقة محددة في صراع مع هذه الصيغة من خلال تحطيم اوتوماتيكية لغتها<sup>1</sup>.

فهو فضلا عن كونه مساحة ذات أبعاد هندسية أو طوبوغرافية، تحكمها المقاييس والحجوم، فإنه أيضا نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة، وبقدر ما يُستمد من التجريد الذهني أو الجهد الذهني المجرد<sup>2</sup>.

ثم إن المكان يمكن أن يوظف لغايات أخرى مختلفة يمكن إجمالها في:

- إبراز طابع القصة الرئيسي.

- الإيهام بالواقع؛ ويُقصد به أن الروائي أو القاص أماكن موجودة حقيقية على أرض الواقع ويهيم في وصف هذه الأماكن وصفا دقيقا.

- إضفاء طابع رمزي على القصة أو الروائي: يكون المكان وسماته ترمز إلى شيء معين او فكرة أراد الكاتب إيصالها.

- إضفاء طابع إيديولوجي؛ ويُقصد بها تلك الأماكن التي تخدم موقف إيديولوجي ما.

- إثارة وتحفيز القارئ عن طريق تمثيل الفضاء في النص، بجمعه لأماكن متعددة من جهة، وحمله لرؤى وأصوات مختلفة، يتمثلها الأبطال وما تختلج به نفوسهم من جهة أخرى، مما يؤدي إلى انتاج سياق دلالي له، باعتبار أن "الفضاء الدلالي يتأسس بين المدلول الظاهر والمدلول الحقيقي، يُلغي في الآن ذاته خطبة الخطاب، وهذا الفضاء هو بالتحديد ما يسمى باسم موفق حتى في غموضه صورة، فالصورة في الوقت ذاته الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له، بل إنها رمز فضائية اللغة الدبية في علاقتها مع المعنى"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بيروي لوتمان، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم، مجلة ألف باء، العدد: 06، 1986م، ص 81.

<sup>2</sup> ينظر: ابراهيم جنداري، الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001م، ص 173.

<sup>3</sup> Gérard Genette, Figures2, Editions SEUIL, Paris, 1972, p 47.



بهذا التصور النقدي للفضاء يتحول القارئ في عملية التلقي من المستوى العادي لفهم النص إلى استحضار عناصر أخرى تكون لها صلة بالمباحث البلاغية، والتي لها علاقة بدورها بمكونات الصورة الشعرية، باعتبارها تشكيلا فضائيا يعتمد الانزياح للانتقال من مستوى تخليلي إلى مستوى دلالي واضح.

وانطلاقا من كل ما سلف يتضح أن الفضاء هو في الأصل الإطار تُنسب إليه المغامرة، لكن مصادره وأنواعه وسماته ووظائفه مختلفة، وهي مجدية إما في فهم القصة بمختلف أبعادها أو في تحقيق غايات داخلية أو خارجية أخرى.

ولاشك ان اللغة هي المثيرة له من خلال قدرتها بين نقاد السرد، باختلاف الأنواع القصصية من جهة، ومذاهب الروائيين من جهة أخرى.

# الفصل الثاني

أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي

عند "إنعام بيوض"

أولاً: أنواع الفضاءات

1- الفضاء المفتوح

2- الفضاء المغلق

ثانياً: سمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

تمهيد:

يعد الفضاء الجغرافي (L'espace Géographique) الفضاء الطبيعي الذي يحتضن أحداث الرواية من بين أنواع الفضاءات الأخرى (الفضاء النصي، الفضاء الدلالي، الفضاء كمنظور).

لذلك يبقى الخطاب الروائي في حاجة ماسة إلى هذا الإطار التكميلي للوظيفة القصصية إضافة إلى الزمن والشخصيات، هذه الأخيرة التي يربط بينه وبينها علاقة وثيقة لامناس منها، فلا من وجود حتمي للأول في الثاني.

وبعد قراءتها المتمعنة لنص رواية "السماك لا يبالي" ورصد الأمكنة فيها وجدنا أنه من الممكن تصنيفها إلى صنفين أساسيين هما: أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة.

أولاً: أنواع الفضاءات.

### 1- الفضاء المفتوح:

هو مجموع الأماكن التي لا يحدها جدار ولا سياج ولا أي شيء، فهي مفتوحة على الفضاء الخارجي، وفيها من الحرية والطلاقة والرحابة ما يسمح بالانتقال دون قيد. كالمدن والأحياء والشوارع والحقول وغيرها.

ومجمل الأماكن المفتوحة التي تزخر بها الرواية -محل الدراسة- يمكن حصرها في

الآتي:

### أ- فضاء المدينة:

بسبب الحضور المكثف للمدينة في الروايات العربية عموماً وكونها موضوعاً شائعاً في بعض الأقطار العربية خصوصاً الجزائر، ارتأينا التعرض لبعض مناحيها النظرية، ورصد بعض جوانب حضورها في الشعر العربي، مع التركيز على جنس الرواية من بين الأجناس الأدبية الأخرى، بغية بيان مواقف الشعراء والكتاب العرب منها (المدينة).

- المدينة في الرواية العربية:

قبل الحديث عن حضور المدينة في الرواية العربية، لابد من التوقف قليلاً عند بعض التنويعات اللغوية التي تُشير إلى دورها في العالم العربي حضارة وأدبا.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

جاء في لسان العرب في مادة (مدن): مدَنَ بالمكان، أقام به، فعل مُمات، ومنه المدينة، والمدينة: الحصن يبني في أُصْطَمَّةِ الأرض، مشتق من ذلك، وكل أرض يبني بها حصن في أُصْطَمَّتْها فهي مدينة، والنسبة إليها مَدِينِيٌّ، والجمع مدائن ومدن والمدينة: اسم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاصة غلبت عليها تفخيما لها، شرفها وسانها، وإذا نسبت إلى المدينة فالرجل والثوب مَدَنِيٌّ، والطير ونحوه مَدِينِيٌّ، ويُقال للرجل العالم الفطن: هو ابن بجدتها وابن مدينتها وابن بلدتها وابن بُعْظْطها وابن سرسورها، قال الأخطل:

ربت وربا في كرمها ابن مدينة يظل على مساحته يتركل.

قال ابن خلوية: يُقال للعبد مَدِينٌ ولأمة مدينة، وقد فسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي مملوكون بعد الموت، ومدَنَ الرجل إذا أتى المدينة<sup>1</sup>.

ورد في بعض القواميس اللغوية أن المدينة مشتقة من الفعل مدن الذي يعني الإقامة في المكان، ومدن المدينة أي أتاها وقصدها، ومدَنَ المدائن أي بناها ومصَّرها، وتمدَّن أي تخلق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من الهمجية إلى حالة الأُنس والظرف والتأدب، أما أي تخلق بأخلاق المدينة فتعني الحضارة والرقي العلمي والفني والأدبي الاجتماعي<sup>2</sup>.

ومن المعاني المرتبطة بلفظ "المدينة" نجد كلمة "حضارة" الذي يعني الإقامة في الحضر، وتحضَّر البدوي: تشبه بأخلاق أهل الحضر وأخذ عاداتهم، وكلمة حضر تعني الإقامة الثابتة في بلدة أو مدينة دون حل أو ترحال، كما يفعل البدو، والحضارة عكس البداوة، أي التمدن والتقدم، والحضارة تعني المدينة الكبرى المزدهرة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صبح وإديسوقت، ط1، 2006م، ج13، ص ص 51-52.

<sup>2</sup> <http://www.almaany.com>.

<sup>3</sup> <http://www.expliciet.nl>.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

يتضح من المعطيات السابقة أن كلمتي "مدينة" و "حضارة" مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالمدينة وليس بالصحراء أو الريف أو البداوة والقرى، فالمدينة علامة دالة على التقدم الحضاري والفكري والعمراني.

وورد لفظ "المدينة" في القرآن الكريم أربعة عشر مرة، في سور متفرقة من بينها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَتَعَدُّهُمْ مَرَّةً مَرَّةً ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ<sup>1</sup>﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَتَّخِذِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَغُفْرَتِكَ بِهِمْ يُجَازِوْنَكَ إِلَّا قَلِيلًا<sup>2</sup>﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۗ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ<sup>3</sup>﴾.

أما ما قُصد منها في هذه المواضع فهو "المدينة المنورة" مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وفي السنة النبوية الشريفة أحاديث وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم شملت لفظ "المدينة" من بينها ما جاء ضمن كتاب الجامع في وباء المدينة "عين أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية: 101.

<sup>2</sup> سورة الأحزاب، الآية: 60.

<sup>3</sup> سورة المنافقون، الآية: 08.

<sup>4</sup> يحيى بن يحيى اللبثي، موطأ الإمام مالك، ط5، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص 643.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

ويقصد بها عليه الصلاة والسلام أنقاب "المدينة المنورة" أي طرقها وفجاجها و(الفج هو الطريق الواسع بين جبلين).

واستعمل الشعراء القدامى لفظ "المدينة" رغم قلة ذلك ولوحظ الحنين إليها في أشعارهم، إلا أنها "قد تأتي بأسلوب صريح، أو عبر معادل موضوعي، مثل رمز الناقة في قول الفرزدق<sup>1</sup>:

**تحنُّ بزوراء المدينة ناقتي حنين عجول تبتغي البورائم.**

وحاز الشعر العربي الحديث والمعاصر هو الآخر على نصيب وافر من الحديث عن موضوع المدينة التي كانت بمثابة "عصر تكويني شمولي، يجسد رؤية الشاعر فنيا وتاريخيا، إلى ذاته الكلية في العالم، ويحيل بما يكتنزه من أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية وإيديولوجية"<sup>2</sup>.

فاختلف رؤاهم وتباينت بحسب نشأة كل منهم ووضعه النفسي والعائدي وانتماءه الاجتماعي والسياسي، وظهرت فرق مؤيدة لحياة المدينة باعتبارها رمزا للحضارة الحديثة وطريقا للحرية والغنى، ورافضة في الآن نفسه لواقع القرية وعجزها عن تلبية حاجيات أهلها وساكنيها من فرص عمل متاحة وخدمات متطورة تعجز نظيرتها (القرية) عن توفيرها، يقول:

"صلاح عبد الصبور" "عن مدينة القاهرة"<sup>3</sup>:

**أهواك يا مدينتي الهوى الذي يشرق بالبكاء**

**إذا ارتوت برؤية - المحبوب عيناه**

**أهواك يامدينتي الهوى الذي يسامح**

**لأن صوته الحبيس لايقول غير كلمتين...**

<sup>1</sup> إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي: الجزائر نموذجا (1925-1962)، ص: 20، نقلا عن: ديوان الفرزدق، دط، دار صادر، بيروت، 1966م، ص 345.

<sup>2</sup> إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي، ص 08.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 60.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

إن أراد أن يصارح

أهواك يا مدينتي ...

في حين يشعر الفريق الآخر بالحيرة والرهبة والخوف من العيش والمكوث بالمدينة  
ويدفعه حنينه للعيش بالقرية إلى النفور من جوها الصاخب وضجيجها المزعج، ولعل قصيدة  
"المدينة" لـ "البياتي" خير مثال لهذا الاتجاه، يقول في هذا المقام<sup>1</sup>:

وعندما تعرت المدينة

رأيت في عيونها الحزينة

مبازل الساسة واللصوص والبياذق

رأيت في عيونها المشانق

تنصب والسجون والمحارق

والحزن والضياح والدخان

رأيت في عيونها الإنسان

يلصق مثل طابع البريد

فيه أيما شيء

كما نلتمس نوعا من الصراع بين القرية والمدينة في تجربة "بدر شاكر السياب" في  
بغداد عن قريته "جيكور" حيث الصفاء والسعادة والهناء، حيث يُصور الشاعر التوتر  
الاجتماعي والضياح النفسي القائم في المدينة يقول<sup>2</sup>:

يا صمت، يا صمت المقابر في شوارعنا الحزينة

أعوى أصيح، أصيح، في لهف فأسمع في السكينة

<sup>1</sup> إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة  
عالم المعرفة، العدد2، فبراير، 1978م، ص ص 105-106.

<sup>2</sup> إبراهيم رمانى، المدينة في الشعر العربي: (1925-1962)، ص 47، نقلا عن: ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة،  
بيروت، 1971م، ص 281.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

ما تنثر الظلماء من ثلج وقار

تصدى عليه خطى وحيدات، وتبتلع المدينة.

ويتكرر هذا الاتجاه مع العديد من الشعراء وفي الكثير من أشعارهم كالأبيات التالية<sup>1</sup>:

وتمضي السنون ياسادتي..

ويكبر في الحلم..

وأعود من حيث أتيت..

إلى مدينتي..

مدينة الدم والألم..

في مدينتي ياسادتي..

تبدل كل شيء!..

مات الإنسان..

هاجر من زمانه الزمان..

وذلل ياسادتي الأسياد..

وما يهمننا من كل هذا وذاك هو أن المدينة مكان أساسي في تجربة الإنسان، ازدهرت فيه الآداب والعلوم والفنون والأفكار والمذاهب، وفضاء أكثر اتساعا وشمولية من فضاء القرية، وأكثر تقدما منه كما يرى ذلك "ابن خلدون" حيث يذكر أن التحضر أو الاستقرار في المدن، وهجرة البدو واستقرارهم فيما بعد الفتوح، وتخلقهم بأخلاق أهلها في طريقة لباسهم ومأكلهم ومشربهم وتنظيم بيوتهم وأثاثهم ورياشهم، هو انتقال حياتهم من طور البداوة أو البدائية إلى طور الحضارة أو التمدن والتأدب<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> حياة بوخلط، أوجاع المدينة: مجموعة شعرية، دط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص ص 16-17.

<sup>2</sup> ينظر: ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1426هـ-2005م، ص 132.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

وما دامت الرواية "هي جنس أدبي لا يكتمل ومليء بإمكانيات التطور والتحوّل"<sup>1</sup>، فقد سايرت الحضارة المعاصرة واتجهت في السنوات الأخيرة خاصة إلى تصوير حياة المدينة وبيان إيجابياتها وسلبياتها والفارق البارز بينها وبين عيشة البدو والقرى، فكان لهذا الفضاء (المدينة) أثر عميق في وعي الروائيين، إذ تفاعلوا معه كحيز إنساني معاشة وتذكرا وتخيلا فاهتموا بنقل تفاصيله الجغرافية (موقعه، مساحته، مناخه...) وتوقفوا عند معالمه الأساسية (تضاريسه، عمرانها، نباته، وحيوانه...)، وربطوا بينه وبين الإنسان بعلاقة تفاعلية وعضوية. فكانت تجليات الفضاء/ المدينة بارزة في كثير من الأعمال الروائية وكانت للروائيين العرب مواقف محددة منها تباينت بين الرفض والعداء والتضايق من المدينة، وبالكرهية في بعض الأحيان لها لدرجة وصفها بعدوة الإنسان لاعتبارها صورة للاغتراب والضياع وفقدان التواصل الاجتماعي أمام سلطة الأنا والنزعة الفردية، ومن بين هؤلاء نذكر:

رواية "المدينة الفارغة" ل: "ليلى عسيان" حيث سلطت الرواية الضوء على مجموعة شباب تختلف أعمارهم وطبقاتهم الاجتماعية ومهنتهم، ف"أكرم" مثلا شاب غني يرفض فكرة العمل في مجال التجارة مع والده، أما "غسان" فهو مهندس ديكور، بينما "حنان" شابة ثرية تمردت على أهلها وذويها ورفضت سيطرتهم عليها، لكن ما يجمع بينهم هو موقفهم الموحد من المدينة وشعورهم بالصلوات الزائفة والقيم المنهارة وما تجلبه على النفس الإنسانية من تحريف للقيم الفاضلة وتدمير لعلاقات الناس بعضهم ببعض، وشكلت هذه الشخصيات نماذج مختلفة قدمت عرضا فكريا لحياة المدينة وزيفها ومتناقضاتها؛ أي أنها أبرزت الأبعاد السلبية للمدينة في نظر هؤلاء<sup>2</sup>.

وفي المقابل راهن آخرون على المدينة باعتبارها فضاء جذابا يمنح آفاقا أكثر تطلعا وتجسيدا للتحويلات الطارئة على الذات الفردية خصوصا وعلى المجتمع عموما، بناء على ما

<sup>1</sup> فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ط2، الدار البيضاء-المغرب، 2002م، ص 72.

<sup>2</sup> فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ص ص 212-213.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

يوفره فضاء المدينة من مجال أكثر اتساعا للتشخيص والتخييل والتعبير وبلورة الدلالات والمعاني، ومن بين هذه النصوص الروائية "القاهرة الأخرى" لـ "رشيد يحيى" تحكي يوميات بطل الرواية في هذه المدينة<sup>1</sup>.

والرواية العربية المرتبطة بالمدينة تؤسس عادة لمتخيل يصبح أكثر امتدادا في النصوص الروائية للكاتب الواحد مثل حال روايات "سحر خليفة" التي تظهر رؤية خاصة المدينة باعتبارها - امرأة فلسطينية - تعالج من خلال مشاهد تصوّرها نتائجها الإبداعية، مثل روايتي "الصبار" و "عباد الشمس" المتمتان لبعضهما البعض، حيث تشكلان ثنائية روائية<sup>2</sup>، ورواية "باب الساحة" و "مذكرات امرأة غير واقعية" و "لم نعد جوارى لكم"، هذه الروايات الخمس تمثل "مطوية روائية أي أن فضاء واحد مشتركا يلحم العمال الروائية كلها"<sup>3</sup>، تكاد لاتبرح نفس المجال وهو المجتمع المدني العربي الفلسطيني بمختلف أبعاده خاصة التاريخية منها.

والملاحظ أن لها تجربة خاصة بمدينة "نابلس" وهي مدينة إقليمية هادئة ومحافظه وتقليدية إلا أن الروائية استطاعت رغم تقليدية المدينة وضعفها مفارئة بمدن كبرى ورغم القصف المتواصل والإغلاق الدائم لها نسج شخصيات وأفعال غنية بالرموز والاستعارات والعلامات الدالة<sup>4</sup>.

ولقد عُنونت الكثير من الروايات بلفظ "المدينة" أو بأسماء مدن عربية محددة، في إطار طرح إشكاليات فضاء للمدينة، ويكفي أن نشير هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى:

- "كوابيس بيروت" لـ "غادة السمان"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: رشيد يحيى، القاهرة الأخرى يوميات، دط، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 1997م.

<sup>2</sup> ينظر: حسن نجيمي، شعرية الفضاء: المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 102.

<sup>3</sup> ينظر: حسن نجيمي، شعرية الفضاء، ص 102.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 143.

<sup>5</sup> غادة السمان، كوابيس بيروت، ط1، منشورات غادة السمان، 1974م.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

- 1 - "شطح المدينة" لـ "جمال الغيطاني".<sup>1</sup>
- 2 - "أبواب المدينة" لـ "إلياس خوري".<sup>2</sup>
- 3 - "القاهرة الجديدة" لـ "نجيب محفوظ".<sup>3</sup>
- 4 - "مدينة اللذة" لـ "عزت القمحاوي".<sup>4</sup>
- 5 - "يابنات الإسكندرية" لـ "إدوارد الخراط".<sup>5</sup>
- 6 - "سيرة مدينة" لـ "عبد الرحمان منيف".<sup>6</sup>

إن كل هذا لا يبرر سوى كون المدينة موضوعا شائعا للرصد والتشخيص والتأمل، ورمزا متعدد المعاني والاستعارات والإيحاءات، وفضاء مفتوحا على تجدد التأويل وإنتاج الدلالات. لقد تمكنت الرواية العربية عموما من استثمار فضاء لصالحها بشكل لافت ومهمين، فأفرزت بذلك نصوصا روائية عديدة رصدت إشكاليات هذا الفضاء وتفاعلات الإنسان مع ملامح التطور الحضاري الذي كان الزمن وتجليات فعله أحد مواضيعها في ظل ما سمي بعصر السرعة وتأثيره في الفضاء المدني، وتقصدت تحليل النفس البشرية وكيفية انسجامها معه باعتباره مخزن الذكريات والتاريخ، وعنصرا محددًا للهوية العربية، فكل مدينة رمز أساسي ومعين تتسم به، وطابع مميز كاللهجة واللباس والديانة والعادات والتقاليد والمعتقدات والأساطير.

### - المدينة في الرواية الجزائرية.

<sup>1</sup> جمال الغيطاني، شطح المدينة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1992م.

<sup>2</sup> إلياس خوري، أبواب المدينة، ط2، دار الآداب، 1990م.

<sup>3</sup> نجيب محفوظ، القاهرة الجديدة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2006م.

<sup>4</sup> عزت القمحاوي، مدينة اللذة، ط2، دار العين، مصر، 2009م.

<sup>5</sup> إدوارد الخراط، يابنات إسكندرية، ط1، دار إلياس العصرية، مصر، 1905م.

<sup>6</sup> عبد الرحمن منيف، سيرة مدينة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006م.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

إذا كانت النصوص الإبداعية العربية شعرا ونثرا قد استوعبت فضاءات المدينة وسجلت الترابط المتين بينها وبين الإنسان فإن النصوص الإبداعية الجزائرية هي الأخرى قد تناولت الموضوع نفسه، وخصصت له مجالا واسعا من الاهتمام، وصورت مدنها العريقة التي تعرضت للاغتصاب والاحتلال منذ قرون من زمن وتطرق لتصويرها في فترات زمنية تلتها، شهدت فيها تطورها وازدهارها.

فقد امتلك مجموعة من الشعراء الوعي بالمكان، وعبروا عن الموقف الحضاري من المدينة ضمن أشكال مختلفة ورؤى متباينة وفي درجات متفاوتة، ومن هؤلاء: الشاعر "مفدي زكريا" إذ رسم للمدينة صورة متأقّة تملأ فضاء النص في دعوة للحضور و التأمل المتمعن في قصيدته "من يشتري الخلد إن الله بائعه" بمناسبة تدشين دار "ابن باديس" بقسنطينة عام 1953م ليقدم مشهدا غاية في الروعة يقول:<sup>1</sup>

وانزل بدارات (سرتا) مطرقا أدبا فبين أضلعها آباؤنا الصيد  
وامش الهوينا، ففي أحشائها أمم وفي جوانحها، أسدّ معاميد  
إلى أن يقول:<sup>2</sup>

وكل شيء (بسرتا) اليوم معتبط وكل شيء (بسرتا) اليوم محسود  
مرعى الضبا، وعرين الأسد لاجب كلاهما في (جيل الوحش) موجود  
ويقول "عبد الكريم العقون" في وصفه لمدينة بجاية بمناسبة زيارة خاصة لها:<sup>3</sup>

بجاية نبع العلا والعظم! ومثوى جدودي هداة الأمم  
أتيتك تحدونى الذكريات لمام

ومن بينها قد بدا ساخرا "قراية" من كل خطب ألم  
و"ملالة" ملتقى الأسد من رجال العروبة أهل الذمم.

<sup>1</sup> ابراهيم رمانى، المدينة في الشعر العربي: الجزائر نموذجا (1925م-1962م)، ص 98.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 98.

<sup>3</sup> ابراهيم رمانى، المدينة في الشعر العربي، ص 102.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

فالمدينة حقيقة ثابتة في الشعر لا يتبدل جوهرها مع مرور الزمن واختلاف الشعراء فكلما الشاعرين صور جمال مدينته وتغنى بمحاسنها.

كما اقتحم الدب الروائي الجزائري عالم المدينة وسجل مختلف مراحل التطور التي عرفتها المجتمعات الجزائرية الحديثة.

ومما لاشك فيه أن الكُتّاب احتكوا بفضاء المدينة، ووقفوا على ما تزخر به من إيجابيات وما تقوم عليه من تناقضات بحيث تحولت عندهم من مجرد شكل هندسي أو وعاء حاو إلى بنية حاملة لدلالات أو فرضيات بحيث تأويلية تحفز المتلقي على قراءتها قراءة منتجة من خلال العلاقة بينها وبين الإنسان وتطور بنيتها التركيبية على جميع المستويات.

كما أنها لم تعد مجرد مكان أو حيز للأحداث، بل "أصبحت صورة مقابلة لعالم الفطرة والطهارة والصفاء، أرض الحب والهناء والسحر، حيث نور "البعث" ومعبر الخلاص نحو عالم جديد"<sup>1</sup>.

إن أكثر الروائيين قد أولوا فضاء المدينة أهمية كبيرة في بناء أعمالهم الإبداعية، وهذا من الناحيتين الفنية والمضمونية باعتبار الرواية من أكثر الفنون ارتباطا بالواقع بمجالاته (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية)، واهتمت الرواية بالمدينة كمكان وكشبكة علاقات وفضاءات مفتوحة يلعب فيها الروائي كما يشاء، هذا ما أدى إلى انشغال بال كثير من الكُتّاب الجزائريين بها، حيث ظهرت ملامحها في رواياتهم من خلال الإشارات الكثيرة إلى أحيائها وشوارعها وساحاتها.

فالروائي يكتب عن المدينة التي يعرفها ويعيش فيها ويشعر بالانتماء إليها، ربما يتذكر تاريخها وشوارعها، وربما يلجأ إلى الوثائق والمراجع التاريخية، لكنه لا يكتب رواية وثائقية تشكل صورة "بانورامية" عن المدينة؛ أي لا يعكس صورتها كما هي، وإنما يستخدم الخيال، لذلك عندما يكتب فهو لا يكتب عن مدينة بعينها، وعن شارع بعينه، وعن مشهد شاهده، وربما عاش فيه وأكثر الأحيان تخيله، لذلك فالرواية هي خيال الكاتب بامتياز.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 64.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

فقد قامت "أحلام مستغانمي" بتوظيف فضاء المدينة في ثلاثيتها (فوضى الحواس، عابر سرير، ذاكرة الجسد)، تقول في هذه الخيرة في أحد مقاطعها: "وهكذا قضى (دولاكروا) عمره في رسكمدن مغربية لم يسكنها سوى أيام وقضى (أطلان) عمره في رسم مدينة واحدة... هي قسنطينة"<sup>1</sup>.

وتقول عن مدينة قسنطينة في روايتها "عابر سرير": "قسنطينة الفاضلة التي تحرسها الآثام ويحكمها الضجر المتفاقم، وهذيان الأزقة المحمومة المثقلة بالغرائز المعنقة تحت الملايات"<sup>2</sup>.

وكذا الحال بالنسبة لـ "الطاهر وطار" في روايته "الزلازل" حيث تستهل الرواية بوصول "بو الأرواح" بسيارته الخاصة إلى مدينة قسنطينة مسترجعا بعض ملامحها القديمة، متأملا جسر باب القنطرة قائلا: "هذا الجسر أفضل جسور قسنطينة السبعة عريض وقصير، سرعان ما ينسى الإنسان الهوة التي بينه وبين الوادي"<sup>3</sup>.

فمدينة قسنطينة عنده لاتزال تحتفظ بجغرافيتها مع فارق في الملامح العامة التي تطبعها اليوم.

وإذا كان هذا حال مدينة قسنطينة عند "الطاهر وطار" وغيره من الكتّاب، فإن مدينة الجزائر في رواية "بان الصبح" لـ عبد الحميد بن هدوقة" مدينة يطبعها الازدحام، ازدحام المساكن والحافلات والمحطات مما أدى إلى تشويه وجهها العمراني الجميل، وعلى الرغم من ذلك

<sup>1</sup> أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ط22، منشورات أحلام مستغانمي، 2007م، ص 162.

\* الملايات: لباس تقليدي خاص بالنساء الجزائريات في منطقة الشرق، أسود اللون يستر كامل الجسد.

<sup>2</sup> أحلام مستغانمي، عابر سرير، دط، منشورات ANEP، طبعة الجزائر، 2004م، ص 306.

<sup>3</sup> إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، دط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص 124، نقلا عن: الطاهر وطار، رواية الزلازل، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 10.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

فهي مازالت تحافظ على بعض عاداتها وتقاليدها رغم الطابع العصري الموروث عن الإستعمار<sup>1</sup>.

أما "مرزاق بقطاش" وهو ابن المدينة فإنه يصور في روايته "طيور في الظهيرة" مدينة الجزائر أثناء فترة الاستعمار من خلال حياة الأطفال في حي من أحيائها<sup>2</sup>.

كما قدمت مدينة تلمسان في "الدار الكبيرة" لـ "محمد ديب" عالما يكاد ينضح بتفاصيل حقيقة الحرب العالمية حيث قساوة الحياة وانتشار البطالة وشبح المجاعة الذي يطغى على المدينة وملاحقة الوطنيين<sup>3</sup>.

المدينة إذن هي مركز السلطة الغازية، فيها تبرز مظاهر السيطرة اللغوية والاجتماعية والثقافية والسياسية، بمعنى أنها فضاء (الآخر) لاتلقى فيه (الأنا)، الوطنية غير أشكال القهر والنفي والضياع<sup>4</sup>.

كان للمدينة حضور في الرواية الجزائرية، فقد تفاوتت أعمال الروائيين كل حسب رؤيته الخاصة، فمنهم من تحدّث عنها باعتبارها مكانا وحيّزا للأحداث، ومنهم من حملها دلالات تاريخية ورمزية، وقد حظيت كل من مدينة الجزائر وقسنطينة بالقسط الأكبر من المساحة التي حظيت بها المدينة في الرواية الجزائرية.

### - المدينة في رواية السمك لايبالي.

سبقت الإشارة إلى أن الفضاء المفتوح يشكل في مفهومه البسيط أمكنة عامة يمتلك كل واحد حق ارتيادها، إنها فسحة هامة تسنح للناس بالالتقاء والتواصل، كما تسمح بالحركة والتفاعل والنمو داخل النص الروائي<sup>5</sup>، ولهذا النمط من الأمكنة أهمية بالغة؛ باعتبار أنه

<sup>1</sup> ينظر: عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، دط، مكتبة الأسرة العربية، 1991م.

<sup>2</sup> مرزاق بقطاش، طيور في الظهيرة، دط، نشر مجلة أمال بوزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976م.

<sup>3</sup> محمد ديب، الدار الكبيرة، تر: سامي الدروبي، دط، مؤسسة دار الهلال، 1970.

<sup>4</sup> ينظر: ابراهيم رمانى، المدينة في الشعر العربي: الجزائر نموذجا (1925-1962م)، ص 08.

<sup>5</sup> ينظر: حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص 79.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

سيمدما بمعلومات وفيرة، وتصوّرات متعددة تكفل الإمساك بحقيقة الأفضية المتموضعة على خارطة الروائية وقيمها ودلالاتها<sup>1</sup>، إضافة إلى أنها تشكل الروح النابضة للحياة البشرية، ففيها يلتقي الناس ويتفاعلون ويتحاورون، ويقضون حوائجهم اليومية، ولعل المدينة أبرز هذه الأفضية المفتوحة، فهي إضافة إلى أنها "بنية جغرافية ومعمارية وتاريخية واجتماعية المؤسسة على التبادلات التجارية والإدارية والتواصل الإعلامي النوعي"<sup>2</sup>، فإنها أيضا تمتلك هوية تحددتها وبالتالي تتحدد بها هوية من يسكنها<sup>3</sup>، وبالفعل فقد ارتبطت الرواية - محل الدراسة - بالمدينة كفضاء اجتماعي تتحرك فيه القوى المؤثرة على توجهات المجتمع وتطلعاته وأوهامه وأحلامه، الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأن "لكل روائي مدينته التي يشتغل عليها روائي آخر، بوعي دلالي وجمالي مختلف، مما يجعل للمدينة حضورا متددا المعاني والدلالات"<sup>4</sup> ويبقى التفاوت قائما بين أعمال الروائيين كل حسب رؤيته الخاصة، وقد حظيت كل من مدينة (الجزائر) ومدينة (دمشق) بالقسط الكبر من رواية السمك لايبالي لإنعام بيوض.

### - مدينة دمشق:

دمشق هي عاصمة الجمهورية العربية السورية، وهي أحد أقدم مدن العالم العريقة، وقد دار جزء كبير من أحداث الرواية في هذه المدينة، خاصة أنها تمثل مرحلة طفولة البطلة "نور" التي قضتها فيها، حيث "كانت طفلة تجوب شوارع دمشق عصرا، وتستنشق رائحتها الخاصة، وعبقها الزخم قبيل ساعة الأصيل"<sup>5</sup>، "دمشق الطفولة" التي طبعت في ذاكرتها بكل تفاصيلها وحيثياتها، كل جزء محفور في أعماقها بدقة متناهية، كيف لا وهي المدينة التي

<sup>1</sup> ينظر: فهد حسين، الككان في الرواية البحرينية، ط1، فراديش للنشر والتوزيع، 2003م، ص 80.

<sup>2</sup> محمد داود، (المدينة في الرواية الجزائرية)، مجلة انسانيات، العدد 13، سنة 2001م، ص 31.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> محمد عز الدين التازي، الرواية والفضاء الروائي، ص 03.

<sup>5</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، دط، منشورات الاختلاف، دت، ص 12.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

ترعرعت فيها، ونشأت بين أحضانها الدافئة، ارتباطها شديد ومشاعرها تجاهها جامحة، ومن درجة تأثرها بجمالها كان يخيّل لها بأن "نباتاتها وأزهارها تغفو مع تهويم القيلولة الذي يستأثر بالناس جميعا بعد الزوال، لتتمطى وتصحو معهم نافثة كل مخزونها العطري"<sup>1</sup>.

هي حالة شعورية عميقة عاشتها بطلتنا، اختلطت أثناءها رائحة دمشق مع نكهة الماضي وأصالته، وبساطة الحياة وعفويتها الخاصة وطابعها المميز، هذا التآرجح بين الماضي والحاضر قد أربكها وجعلها تعيش حالة اللاإستقرار من خلال وعيها الخاضع "للفضائية (Conscience Spatialisée)"، حيث تلعب الحواس دورا أساسيا في تمثيل المدينة وشحنها بالأبعاد الوجدانية والانفعالية والرمزية والايديولوجية، من خلال عمليات ثلاث: النظر في الحالة الحاضرة للمدينة والاستعانة بالذاكرة لبعث ماضي المدينة وأخيرا المقارنة بين الحالتين"<sup>2</sup>، بين طفولتها الدمشقية وحاضرها الجزائري.

### - مدينة الجزائر:

تمثل مدينة الجزائر الجزء الآخر الذي تدور فيه أحداث الرواية، فهي تمثل حاضر "نور" وشبابها، "هذه المدينة التي غدّت أحلامها واستيهاماتها طويلا"<sup>3</sup>.  
وكم كثر ذكر هذا الفضاء في نص الرواية، وبأسلوب شعري يرمز إلى مكانة الجزائر في قلب الكاتبة، ف "مدينة الجزائر (... ) فاتنة، نظيفة، منسّقة بشوارعها اللماعة بفعل الرطوبة، وأبنيتها البيضاء التي تتهامس مع أنوار المصابيح بأسرار الليل وأصداء النهار، وأشجارها الغافية التي منحها النسيم مهلة نعاس عميق"<sup>4</sup>.

وإن كان قد انتاب بطلتنا إحساس بالغرابة والكآبة حينما قرّر أبوها الارتحال بها إلى الجزائر، لكنه سرعان ما تلاشى بعد أن وطأت قدماه أرض الجزائر، شعرت من أول وهلة

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 12.

<sup>2</sup> محمد داود، المدينة في الرواية الجزائرية، ص 34.

<sup>3</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 12.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 172.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

بالانتماء الشديد لهذا البلد، وانغمست بمجتمع عاصمي أصيل ذكّرها بعراقة الحارات الدمشقية السورية، لما وجد بها من عادات وتقاليد مماثلة لتلك التي نشأت عليها.

هذا ما جعل صوت أحلامها يهتف بأعلى صوته عندما "لاحت من بعيد خيالات المدينة المعلقة على خيط الأفق الأزرق (...). مدينة البلور! كانت تبدو فعلا كمدينة البلور التي ابتدعتها مخيلة ريماء، بأبنيتها البيضاء المكلفة بهالة من ضياء، والمرفوعة فوق أقواس مفرودة على طول الشاطئ (...). مدينة بيضاء على جبهة القارة السوداء"<sup>1</sup>.

يبرز من خلال المقاطع السردية السابقة أن مدينة الجزائر هي بمثابة العمود الفقري الذي يربط أجزاء نص الرواية وأحداثها ببعضها البعض، يظهر حضورها في مواقف عديدة كفضاء مركزي يكتسب معنى خاصا في إعادة الذاكرة إلى بعض الأمكنة، ويساعد على استحضار المنسي لجعله متذكرا، كما أنها تفتح أفقا جديدا لجمالية الفضاء، ولمعانيه ورموزه ودلالاته، ولتجلياته بأكثر من تجلٍ، واستحضاره بأكثر من حضور وتسميته بأكثر من مسمى.

### - بيروت:

تعدّ بيروت هي العاصمة السياسية للجمهورية اللبنانية وأكبر مدنها، وتحتل مكانة مرموقة في الروايات العربية والغربية على السواء، "هل لأن لا أحد يحاسب أو يعاقب أو يسأل في بيروت؟"<sup>2</sup>.

يبقى السؤال مطروحا أمام الدارسين، وتختلف الإجابات تبعا لوجهات النظر و الرؤى، فهذا "ماكدونالد" مثلا يرى ان "بيروت تشبه كل شيء ولا تشبه شيئا (...). إنها مدينة خطيرة يلتقي فيها كل شيء بكل شيء"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص ص 97-98.

<sup>2</sup> شاكرا النابلسي، مدار الصحراء، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1991م، ص 261.

<sup>3</sup> صالح ابراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ص 50.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

لكن على خلاف معظم الروايات كان لهذا الفضاء حضور محتشم في روايتنا، فقد قصدتها "نور" مع والدها حين وصلتها "أخبار من "ديرفول" مفادها أن زوجة جدّها الشركسية تعاني من سكرات الموت، وربما كانت في النزح الأخير"<sup>1</sup>، من هنا تبدأ الرحلة إلى بيروت "كان الفصل شتاء بعد قطع الحدود، توقفت السيارة في "شتورة" و نزل الركاب لتناول "الترويقة" التي أحضرها البعض في زوّادتهم (...). استؤنفت الرحلة صعودا، وبدأ البرد ينخر بشرة "نور" ويشك عظامها"<sup>2</sup>، كان الطريق غير سالك في كثير من الحيات بسبب الثلوج، أما عن الطقس فقد تميّز ببرودته وكثرة سحبه، كما تميز هذا الفضاء بكثرة أشجاره وكثافة ضبابه.

وبعد الوصول إلى بيروت، قضت "نور" رفقة والدها طيلة الأسبوع هناك، أين استضافتها "أم نقولا" من "شفيق" قريب والدها الذي لم يحاول إخفاء امتعاضه لرؤيتها.

- تلمسان:

ولاية تلمسان، ولاية جزائرية تقع شمال غرب الجزائر، وقد ورد ذكرها في منتصف الرواية، أين رحل "نجم" وأسرته "للمرة الثانية للاستقرار في بيت جده بتلمسان بعد وفاة جدته"<sup>3</sup>.

ولم يشغل هذا الفضاء مساحة معتبرة من نص الرواية، بل على العكس تماما، حيث إنه لم يُذكر إلا في المقطع السابق وما لحقه من وصف سطحي لجوه، حيث قالت الروائية: "كانت الحرارة خانقة عندما وصلوا إلى بيت جده بتلمسان"<sup>4</sup>.

وهكذا لم يشكل فضاء تلمسان موقعا أساسيا في الرواية، ولكنه رغم ذلك يملك وظيفة في توالي الأحداث وتفاعل الشخصيات، وإن كانت تبدو للقارئ منذ الوهلة الأولى من غير أهمية.

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 29.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص ص 29-30.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 146.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 147.

### - عين تموشنت:

عين تموشنت مدينة وبلدية بولاية عين تموشنت الجزائرية، ذُكرت في الصفحات الأخيرة من الرواية، وشكّلت فضاء استذكاريًا، لأنها شبيهة بمرسيليا من وجهة نظر "نحو"، ومع أنه كان يحب تلك المدينة التي تذكره بعين تموشنت في الماضي، مدينة لها بهرج المومسات ورزانة الراهبات، لاتخجل من حثالاتها وتشهرها امام الملاء كصورة دون رتوش للحياة<sup>1</sup>، إلا أنه لم يحس بالانتماء لها.

### ب- فضاء البحر:

يمثل فضاء البحر أحد اهم الفضاءات المميزة لتجربة "نور" وقد أفصح حضوره عن نفسه من ذ الصفحات الأولى في الرواية، وما لبث أن تتابع تواجده في معظم هذا النتاج الروائي ليشكل سمة خاصة بشخصية البطلة، ناهيك عما أضافه من أداء جمالي وأسلوب إبداعي وتصوير فني للرواية، حيث أسهبت الروائية "إنعام بيوض" في وصفه بأروع الأوصاف الشاعرية، ما جعله متعدد الدلالات لدى القارئ ونستدل على ذلك بما جاء في مستهل الرواية، حيث تقول الكاتبة: "جلست نور على صخرة ملساء من بين الصخور الناتئة المدبية المسننة، وأحست بالرطوبة الباردة للصخرة تلامس رطوبتها الدافئة السائلة، ورائحة البحر العابقة باليود تملأ رئتيتها، وتخرق حجابها الحاجز"<sup>2</sup>.

لقد تجاوز وصف البحر بمفرداته المتولدة من اللغة الكتابية فائقة الجمال إلى كونه أقرب إلى الشعر من النثر، لينطوي بذلك هذا الوصف تحت معطى شاعري أكسبه دفقا قويا من الدلالات الإيحائية، ومنحه لذة جمالية أبعدته عن اللغة التقريرية المباشرة وزانته أكثر المحسنات البديعية كالطباق في كلمتي: الباردة والدافئة.

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 151.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 09.

هي رائحة تدغدغ ذكريات "نور" وتداعب جسدها بين أمواجه الباردة، هو لون البحر حين يتلون "بلون السمك الفضي، وينشطر خيط الأفق، فتلتحم السماء بالماء وتتورد نشوة مع كل غروب"<sup>1</sup>.

ثم أن ما يزيد المشهد قوة هو "ذاك المغيب المهيب، العجيب، من على تلة في الطريق المؤدي إلى جبل "الشنوة" بين شجرتي صنوبر تؤطران لهاوية فيها البحر، شحب لونه، زايله اللون، والقرص البرتقالي الوهاج يمتنع شيئاً فشيئاً، يزداد احمراراً، صحوة موت متيقن من البعث"<sup>2</sup>.

إن إبحارنا في عالم الرواية ينبهنا إلى العلاقة الوثيقة بين البحر و"نور"، لكن هقبل هذا يشدنا إلى علاقته بعنوان الرواية "السمك لايبالي"، فالسمك موطنه البحر فإن هو ابتعد عنه اختنق ومات، وهذا الرابط يحيلنا إلى شفرة رمزية ترددها الشخصية المحورية "نور" عبر متن الرواية، فربما هي الخرى تمت أن تكون سمكة لأن السمك في النهاية ورغم كل ما يدور من حوله "لايبالي، وينساب أسراباً متناغمة الحركة في الاوزن، يلامس هدير الكون السطح الرقراق للموجات المتزاحمة ويتخلل الأثير مفعماً بعبق السنين، وأصوات الزل، يللم أشتاته في فضاء يتسع لبرهة"<sup>3</sup>.

ولعل هذا ما يحقق أهمية البحر في الرواية باعتباره فضاءً مفتوحاً ومنفتحاً في آن واحد على أسرار ومكونات "نور"، لصيقاً بنفسيتها المتعبة بشكل دائم.

- ميناء تبيازة:

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص ص 09-10.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 10.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 09.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

يتجلى هذا الميناء في الرواية كفضاء منفتح بامتياز؛ فهو منفتح على البحر من ناحية وعلى البر من ناحية أخرى، كما انه يحيل على حرية التصرف والتنقل، ويقدم "للإنسان جزء من تداعيات التفاعل ومضاته التي تحرك الأحداث ونموها نسيج من العلاقات الاجتماعية"<sup>1</sup>.

لذلك يتكرر ذكره في الرواية، خاصة انه المقر الذي أفشت فيه "نور" رغبتها المكبوتة في الامتناع عن رؤية محبوبها "نجم"، فقد كانت "تتنازعها رغبة اكيدة جامحة في أن تزحجه نهائياً من مجال بصرها، وتسقطه من حساباتها بشطبة، او على الأقل أن تلغيه إلى حين إلى حين؟ الأبد؟ بالضبط، الأبد هكذا قالت له بعد أن قفلا راجعين من نزهة ليلية في ميناء "تيازة": لا أريد أن أراك بعد اليوم"<sup>2</sup>.

لقد كانت "نور" دائمة التردد على ميناء "تيازة"، وربما لأنه كان مصدر إلهام لها خاصة انها فنانة تشكيلية كان يمثل وجهتها المفضلة لقضاء لحظات مريحة على مشارف مياهه الزرقاء، تستمع لصوت الأمواج المتلاطمة وتستقبل نسيمات البحر الباردة، تراقب أسراب الطيور المتقلبة وتتمنى لو كان بإمكانها التحليق وكسر القيود التي كانت تضيق الخناق عليها.

تميّز ميناء "تيازة" من كل ما سبق بأنه الملاذ الآمن للبطللة ومستودع أسرارها؛ فقد كانت تقصده كلما أحست بضيق في صدرها فتلقي له بكل ما يثقل كاهلها لتبدأ مشوار حياتها من جديد بنفسية أكثر راحة واتساعاً.

### - ميناء جبيل:

إن الحديث عن ميناء "تيازة" يستحضر في مخيلة "نور" فضاء آخر هو ميناء "جبيل"، "لم تكن "نور" تدري لم يذكرها هذا الميناء بميناء "جبيل"، الذي سقطت في مياهه الباردة ذات يوم، في أول زيارة لها إلى لبنان مع والدها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، ط1، فراديس للنشر والتوزيع، 2003م، ص 129.

<sup>2</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 32.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 33.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

وإن كان لهذا الميناء ما يميزه في ذاكرة البطلة فهو برودته الشديدة وتموجاته المتلاطمة، وعيش السمك الفضي المحبب إلى قلب نورفيه، والذي لطالما رغبت في أن يكون لها سمك تُشرف على تربيته بعد نقله من عالم البحر ذا الزرقة البديعية إلى عالمها الخاص (بحر الدار).

### ج- فضاء الحي:

تعدّ الشوارع والأحياء "أماكن انتقال ومرور نموذجية فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحاً لحدوثها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها"<sup>1</sup>.  
وبما أن الرواية -موضوع الدراسة- تقوم أحداثها على الانتقالات المكانية بشكل مفرط، فإن لهذا النوع من الفضاءات المفتوحة دوراً عظيماً تكتسيه بوسائل تنقلاتها المختلفة خلالها.  
ثم إن الحي لغة مأخوذة من الحياة<sup>2</sup>، كما يعد "من أكثر أسماء الأماكن العربية التي تشير إلى معنى الحياة وحركتها الدائبة"<sup>3</sup>، خصوصاً أنها أماكن عمومية أهلة بالسكان لاتتصوي تحت ملكية فردية، تشهد حركة الكبار وعلاقاتهم ببعضهم البعض، ومعاملاتهم ولقاءاته، كما تشهد في آن واحد ضجيج الصغار وصيحاتهم أثناء لعبهم بشكل خاص.

### - حي محي الدين ابن العربي:

عندما يصف لنا الكاتب أو الروائي الأحياء أو الشوارع يتبين لنا الكثير من تلك المنطقة، عما يوجد فيها ولا يوجد، وكيف كانت وكيف أصبحت وعن مكانتها في نفسية الكاتب.

وقد ظهر حي محي الدين ابن العربي بملاح طوبوغرافية في أكثر من موضع لاسيما في الصفحات الأولى من الرواية حيث نهض بسمات محددة أبرزها القدم و الأصالة، كونه

<sup>1</sup> حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 79.

<sup>2</sup> ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 203.

<sup>3</sup> شاعر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994م، ص51.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

يُعد من "أقدم وأعراق أحياء دمشق، والمكان الذي اختاره الأمير عبد القادر الجزائري ليكون مقر ضريحه"<sup>1</sup>، إضافة إلى أن حضوره مرتبط بحضور أحد الشخصيات المقربة إلى "نور" ألا وهي شخصية جدّها، فقد كان بيته يقع في هذا الحي، وتميز بأنه "بيت رحب، بمجرد أن تغلق وراءك بابه الخشبي السميك المسمر، وتلج إلى الردهة المظلمة أو "الدھليز"، حتى ينقطع لغط الحارة، وأصوات الباعة المتجولين"<sup>2</sup>.

لقد كان مكانا معزولا عن العالم متروكا لتناقضاته، فبمجرد أن يغلق بابه يعم الهدوء والسكينة أرجاءه، ليترك بين يدي الزمن يسيره سيرا حثيثا نحو فناء محقق.

لقد ركزت الروائية على هذا العنصر الفضائي (الأحياء الشعبية) جاعلة منه محطة اهتمامها دون غيرها من الأحياء الأخرى، ولعل مردّ ذلك إلى أن "إنعام بيوض" قد عاشت في بيئة دمشقية عتيقة، وتعلقت -بعد رحيلها إلى الجزائر- بأيام الحارة الدمشقية أين قضت مرحلة طفولتها فغي جو تسوده المودة والتفاهم والتسامح الاجتماعي.

### - حي باب توما:

باب توما هو أحد أبواب مدينة دمشق القديمة في سوريا، سُمي بهذا الإسم نسبة إلى القديس "توما" أحد رسل المسيح الاثني عشر، ويقع هذا الباب في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة دمشق القديمة، وهو في الأصل باب روماني نُسب إلى أحد عظمائهم<sup>3</sup>.

وقد سبقت الإشارة إلى مكانة الأحياء الشعبية عند الروائية ومدى اهتمامها بها، ووصفها لها وصفا دقيقا يُصوّر للقارئ معالمها وهندستها المعمارية، كما تجعل منها فضاء محببا للنفس من خلال بساطة أهلها وعلاقتهم الاجتماعية الوطيدة.

لكن الملاحظ على هذا الفضاء دون سواه ارتباطه بشخصية "ريما" صديقة "نور" عتلى خلاف باقي الأفضية الأخرى التي سلف ذكرها في هذا المقام والتي كانت ذات علاقة بنور

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 13.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، باب توما، 13 مارس 2019م، ar.wikipedia.org.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

بطلة الرواية لقد "كانت "ريما" تحب خالها "حنا" حبا جما (...). اكتشفت معه لأول مرة في "باب توما"، بحاراته الضيقة ودكاكينه المزدانة جدرانها من الداخل بأيقونات ساذجة لمريم العذراء والمسيح مع حواريه أو مع أغنامه، أو معلقا على خشبة"<sup>1</sup>.

تميز فضاء "باب توما" بروحانية أهله وتقديسهم للديانة المسيحية، وقد ظهر ذلك جليا في أبسط مظاهره من خلال المقطع السابق، حيث لم يخل بينت ولادكان في هذا الحي من صور المسيح أو أمه مريم العذراء -حسب قول الكاتبة-.

### - الحواشي بالحي العربي:

يقع هذا الحي "في الطرف الجنوبي لعين تيموشنت"<sup>2</sup>، ويشكل هذا الحي المكان الذي انتقل "نجم" رفقة أمه وإخوته الخمسة للعيش في العيش فيه. وهناك عرف مهانة الفاقة واليُتم بأفزع معانيها، كان كل ما يميز هذا الحي هو "بيوت هشة واطئة مبنية بالطوب أزقة ضيقة تتبع تعرجاتها المجاري المفتوحة، على الهواء الطلق والذباب الوقح والروائح الكريهة"<sup>3</sup>.

لقد صورت المؤلفة هذا الحي بأنه فضاء لليؤس والشقاء، ومنبعا للفقير والمعاناة، وهذا ما جعل حياة "نجم" وعائلته سوادا في سواد، فإضافة إلى حالة اليُتم التي عاشها حديثا هو وإخوته فإن ظروف العيش الصعبة زادت من حدة هذا الألم ليجعل من هذا الفضاء فضاء غير مريح ومنبوذا من طرف القارئ.

### 2- الفضاء المغلق:

تشكل الأماكن المغلقة ثنائيات مع الماكن المفتوحة، وتتميز بنوع من الانسداد والانغلاقية مسألة نسبية تحتكم إلى زاوية النظر، ففضاء البيت مثلا قد يبدو مغلقا بجدرانه وسقفه لدى

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 137.

<sup>2</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 137.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

البعض، لكنه قد يكون مفتوحا من وجهة نظر أشخاص آخرين، وهذا المر تتحكم به نفسية الشخصية، هذه الأخيرة التي قد تسودها السكينة والألفة في هذا البيت فيكون بمثابة مكان مفتوح لأنه محبب لها وتجد فيه كل راحتها وحرمتها ودليل ذلك قول الله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام عندما حيكت ضده مؤامرة إدخاله السجن: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة يوسف: الآية 33].

وفي هذا الموضوع كلام كثير، لكننا سنكتفي في هذا المقام بما ورد في كتاب "غاستون باشلار" (جماليات المكان) في فصله المعنون بـ: "جدل الداخل والخارج" حين يصرح قائلا: "وضع هنري ميشو في داخلنا الخوف من الأماكن المغلقة (Claustrophobie) والخوف من الأماكن المفتوحة (Agoraphobie) جنبا إلى جنب، وهو بهذا قد هوّل الخط الفاصل بين الداخل والخارج ويفعله هذا -من منطق سيكولوجي- حطم اليقينات الكسولة، للحدوس الهندسية، التي يسعى علماء النفس بواسطتها للتحكم بالمكان، وحتى مجازيا لاشيء له صلة بالألفة يمكن احتجازه داخل مكان مغلق"<sup>1</sup>.

بهذا الاعتبار تتضح نظرة "غاستون باشلار" ومؤيدوه لمفهوم الإغلاق والانفتاح؛ فالإغلاق يساوي الانفتاح في معناه السلبي، كما أن "انفتاح المكان أكثر مما يجب يشعرنا بالاختناق أكثر من المكان الأضيق مما نحتاج"<sup>2</sup>.

فضاء مفتوح + راحة نفسية منعدمة = فضاء مغلق.

فضاء مغلق + راحة نفسية = فضاء مفتوح.

ومهما يكن من أمر، فإن "النص بالمفهوم السيكولوجي هو الفضاء المفتوح لسلسلة لا متناهية من الانبثاقات الدلالية التي تمكنه من تأكيد حضوره عبر الزمان والمكان، الأمر الذي يدفع به نحو تحقيق وجوده الكينوني"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان: تر: غالب هلسا، ص ص 197-198.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 198.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

### أ- فضاء البيوت والشقق:

شك أن الفضاء مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الشخص، تماماً كعلاقة الإنسان الوطيدة والمتداخلة بمسكنه القاطن به، واستحالة الفصل بينهما.

فالبيت هو الملجأ الآمن للإنسان وهو ملاذُه وحصنه المنيع من كل عامل خارجي، ومكان راحته وسكونه، يهنأ بهنائه ويشقى بفساده، إنه أحد أهم الفضاءات المغلقة ذات الصلة الطبيعية بكل إنسان، وهو النموذج العام للألفة ومظاهر الحياة الداخلية، كما أنه يعرفنا بالحياة الشعورية التي تعيشها الشخصية "إذا وصفت البيوت فقد وصفت الإنسان"<sup>2</sup>، وبطبيعة الحال فإن الانتقال من مكان إلى مكان يصاحبه تحوّل في الشخصية<sup>3</sup>.

إضافة إلى فضاء البيوت المذكورة في الرواية -والتي سيتمّ التعرّض لها في هذا الفصل- ثمّ توظيف مصطلح آخر قريب منه وهو مصطلح "الشقق"، وهنا كان لزاماً إدراج الفرق بينهما؛ "فإن كان البيت بعدد معين من الحجرات واقعا في عمارة سمي شقة، وإن كان واقعا في أرض وحده وبنفس عدد الحجرات سُمّي بيتا أو فيلا..."<sup>4</sup>.

إنهما إذن وجهان لعملة واحدة، فضاءات متوافقان من حيث الوظيفة؛ فكلاهما يعملان على إيواء الإنسان وحمائته من كل حر وقر، ومختلفين من حيث الشكل والتشكيل والموقع والهندسة المعمارية في آن واحد.

### - البيت الدمشقي:

هو بيت جد "تور"، يقع في "حي الصالحية"، وهو على غرار أكثر البيوت الدمشقية بيت رحب، به أصص الفل والزنبق الأبيض والياسمين، وبه درج خشبي مؤدي إلى الطابق العلوي، فهذا البيت بطابقين وحديثة، ويظهر لقارئ الرواية أن السارد لم تصف البيت على

<sup>1</sup> ملاس مختار، دلالة الأشياء في الشعر العربي: عبد الله البردوني نموذجاً، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، 2002م، ص 13.

<sup>2</sup> حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 43.

<sup>3</sup> سيزا قاسم بناء ارواية: دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص 107.

<sup>4</sup> شاكرا النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 142.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

أنه مكان مغلق خانق، بل على أنه مكان يبعث على الراحة والطمأنينة والسكينة، "فبمجرد أن تغلق وراءك بابه الخشبي السميك المسمر، وتلج إلى الردهة المظلمة أو "الدهليز"، حتى ينقطع لغط الحارة (...). ويزيغك السطوع المنبعث من الفناء أو "أرض الديار"، بسواقي المياه الرقاقة لـ "بردى"، التي تبدو راكدة، لكنها تتساب بهدوء يساير إيقاع الكون، رتيب، حثيث، أزلي، تحت ظلال شجرة النارج العتيقة"<sup>1</sup>.

كانت "نور" تلعب في زاويا هذا البيت الرحب مع صديقتها "ريما"، واتخذت من فراغ الدرج الخشبي المؤدي إلى الطابق العلوي مكانها المحبب والمخصص لها، و"كان البيت الدمشقي العتيق يعجّ بحركة غير عادية يوم "الاستقبال"، اليوم الذي تستضيف فيه ربة البيت صديقاتها ومعارفها وجاراتها ونخبة منتقاة من قريباتها (...). كانت نور تكره هذا اليوم"<sup>2</sup>.

من خلال هذه "الأوصاف الداخلية الخالصة فإننا نكون في تمارس مباشر مع الحياة الحميمية للشخصية (...). حيث تقوم تلك العلاقة الموجودة بين الشخصية وأشياءها بمدّ جسر نمرّ عبره للإطلالة - أو القبض عليها في حقيقتها"<sup>3</sup>.

يتضح من كل ما سبق أن الوصف الذي يمزج بين الداخل والخارج يعطي تصوّراً مجملاً للدلالة التي يبعثها الفضاء ليعبّر في النهاية عن نفسية الشخصيات وسلوكها، فالساردة لم تصف البيت على أنه مجرد مكان هندسي مادي، بل تحدّثت أيضاً عن الشخصيات التي تسكنه ومدى تأثيره عليها، على اعتبار أنها تزيد المكان دلالة وتضفي عليه أبعاداً أخرى.

ثم إن الساردة قد عرضت لنا الحالة التي آل إليها البيت بعد تخلي أصحابه عنه حيث أقرّت بأنه "بدا حزينا وهو يؤدّع سكانه، وقد تناثرت به الرزم والصناديق والحقائب المربوطة

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص ص 13-14.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 15.

<sup>3</sup> عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، دط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دت، ص 55.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

بالحبال لمنع تفتتها حول البحرة التي سكت حريها وعكست مياهها الراكدة أغصان شجرة النارج، كان السكون يخيم على الأرجاء، وقد تهافت السماسرة عليه لتقديم عروضهم من أجل اقتناه<sup>1</sup>.

يبرز هذا القول إحدى الثنائيات الضدية الحاضرة بقوة في النص، وهي ثنائية (الفرح/الحنن)، فالأولى توحى بالارتياح والطمأنينة، وبسعادة البيت بساكنيه وأمان هؤلاء بتواجدهم فيه، أما الأخرى فتحيلنا إلى الهم والغم الذي ساد البيت بعد أن أصبح وحيدا بأئسا، كئيبا، وكأنه كان حي حس ويشعر ويتألم!.

### - شقة نور:

يعيش الإنسان في وسطه الحيوي مسخرا له وسائل وأشياء يقتنيها أو يصنعها بنفسه تلبي حاجياته المختلفة وتلازمه لما لها من حضور بالغ الأهمية لوجوده الإنساني، كالشقة المرتبطة به أشد الارتباط كونها تعبر عن تطوره ونموه ونمط حياته وسلوكه الحضاري وحالته المادية، هذا ما عكسته شقة "نور" أثناء تصوير الرواية لها من الداخل و وصفها لها بأنها "ذات أثاث بسيط لكنه ينم عن ذوق رفيع، كل الجدران مغطاة تقريبا بلوحات فنية أصلية (...). وقد علقت بطريقة تجعل من الحائط لوحة كبيرة بتكوين مدروس ومتناسق"<sup>2</sup>.

هكذا جعلت "نور" من شقتها الصغيرة الموجودة في الجزائر والتي استأجرتها منذ عام مكانا منظما، مرتبا ونظيفا، ذا طابع حضاري راق يحيلنا إلى الارتياح النابع عن الانسجام بين الأشياء الموجودة فيها، وكذا المنتفس الفني الكامن بجو الشقة، حيث أن "نور" خصصت في مساحة منها مشغلا وضعت فيه رسوماتها، وبعض الكتب التي تظالعها من حين لآخر. وعلى الرغم من أن الشقة تصنفت ضمن الماكن المغلقة من الناحية الهندسية إلا أنه مكان مفتوح عند "نور" يوحى بالحميمية والسلام، إضافة إلى أنه ملاذها الوحيد الذي تلجأ إليه رغم صغره مقارنة ببيت زوجها السابق.

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 30.

<sup>2</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 47.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

- بيت أم إلياس:

إنه البيت الذي قطنت به "ريما" مع "أم إلياس"، فقد أودعتها في غرفة من هذا البيت لم يدخلها أحد ما عدا ابنها المسافر، "كانت الغرفة غريبة عمياء الجدران إلا من واحد شقّ فيه باب صغير بدرفة ذات مربعات خشبية تؤطر لمربعات زجاجية مختلفة الألوان (...). أثاث الغرفة المكسوة بأكملها بالسجاد العجمي، ينمّ عن ثراء عريق وذوق أصيل (...). أكثر ما يلفت الانتباه، هو الساعات الجدارية البرونزية السبع"<sup>1</sup>،

فهذه الغرفة مظلمة ومغلقة لكنها تحتوي على ما هو حميمي بالنسبة لصاحبتها، صورة زوجها، وصورة ابنها، إضافة إلى الساعات التي ورثتها عن والدها.

- بيت "أم جورج":

إن الأدوار التي تقوم بها الشخصيات هي التي توضح المعنى الكلي للنص، إذ بدون حركات الشخصية في الفضاء الروائي يفقد هذا الأخير جزء كبير من مكانته، فمثلا يستحيل أن يكون البيت ذا معنى واضح وعميق دون ربطه بالإنسان الذي يسكنه، ويشكل البيت فضاء اختياريًا لأنه مكان يشعر فيه الإنسان بالراحة والسكينة والطمأنينة، حيث إن "المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ومن جانب آخر إن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها"<sup>2</sup>.

يشير فضاء هذا البيت (بيت الخالة آرليت) إلى ذلك الفضاء الرحب الواسع الجميل بالنسبة لـ "ريما"، فقد أبهرها ذلك المنظر ولم تتصور بأن تلك الحارات الضيقة في دمشق يمكن أن تحتوي على هذه البيوت الواسعة، فقد "قادتها صاحبة الصوت عبر فناء مريح تحف به نباتات والورود من كل جانب، انتصب فوق الأضلع الثلاثة للمربع بناء حجري من طابقين، يصل العلوي منهما زوج من السلالم المتوازية ذات درابزين حديدي مقرّم بأشكال

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 70.

<sup>2</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 118.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

هندسية، ويلتقيان في ممر على طول الضلع الأوسط ينفّح الجزء السفلي منه على بهو فسيح بباب مقابل يؤدي إلى حديقة داخلية<sup>1</sup>.

فربما بالرغم من انبهارها بهذا المشهد الرائع فقد أغوتها الحديقة بأشجارها الباسقة وفكرت بأن قصاصة ورق لن تكفيها لكي تصف لنور كل هذا الجمال الرائع والهادئ.

### - بيت الخالة آرايت:

هو منزل فخم من الطراز الاسباني الممزوج بكلاسيكية محدثة، قامت "ريما" بزيارته للإطمئنان على خالتها "آرايت" التي مرضت مرضا شديدا أقعدها الفراش، وفور أن وصلت إليه "ضغطت على جرس الباب الحديدي الكبير المخرم بأشكال باروكية وراء زجاج معتم، فتح لها رجل في غاية الأناقة (...). وقادها إلى بهو فسيح وكأنه بهو قصر لكثرة التحف النادرة المزروعة بين أركانه، واللوحات الأصلية المعلقة على جدرانه، والثريات البلورية المثقلة بالبذخ الذي تتدلى من سقفه"<sup>2</sup>.

إن طوبوغرافية بيت الخالة "آرايت" تدل على الهدوء والفخامة والرقي الذي يسود جو البيت، فيكس بدوره الدلالات الخاصة بقاطنيه، حيث شبهته الساردة بالقصر الضخم الذي يشكل فضاء مثالي وجدير بتوفير جميع الظروف المناسبة للشعور بالسعادة والارتياح النفسي والجسد، إلا أنه في الواقع لا يبرز ذلك الإحساس الذي يقوم على الحياة الممتلئة فرحا وسعادة وانسراح، فلم يعد مكانا للإقامة الهانئة، وإنما أصبح بمثابة قفص ضيق وفضاء مفرغ من الروح ومن القيم السامية، أصبح بؤرة للغربة والهلاك والانقطاع عن الأصول، فيه تنهار الأحاسيس البشرية ويموت الضمير، ولعل ذلك راجع لعدة أسباب أهمها: مرض صاحبة البيت وفساد أخلاق زوجها الذي "اكتشفت تورطه في تجارة الأسلحة والمخدرات"<sup>3</sup>.

### - فضاء المقهى:

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 77.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص ص 112-113.

<sup>3</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 115.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

إن الحديث عن حركة الشخصيات في الرواية يقودنا إلى الحديث عن أماكن تواجدنا ونمط حياتها فيه وطريقة تأقلمها معه ما يدفعنا لتحديد بعض هذه الأماكن كأفضية دالة ومتميزة بطبيعتها وقدرة توجيهها للأحداث وكذا قيمتها الرمزية.

ونشير بهذا الصدد لفضاء المقهى وعلاقته بشخصيات الرواية، وما يزرع به من دلالات خاصة إنسانية واجتماعية وفكرية.

### - مقهى الحاج داوود:

في رواية السمك لايبالي وبالتحديد قرب الميناء تجري أحداث متتابعة تحمل قيما وعلاقات إنسانية تقيم نسقا خاصا من التنظيم العاكس للثقافة السائدة في ذلك المحيط، ولما كان المقهى "فضاء دلاليًا له خصوصياته تجعله حاضرا باستمرار كمادة أساسية في الفن القصصي والروائي يستقطب اهتمام المبدعين في الشرق والغرب"<sup>1</sup>.

فقد كان حاضرا في الرواية بمختلف تجلياته ومظاهره ودلالاته، هذا ما عكسه مقهى الحاج داوود إذ أن موقعه في المحيط القريب من الميناء جعل منها فضاء يكشف عن الصورة الاجتماعية والفكرية لروادها، ويوحى بالخلفية النفسية لهم.

كان هذا المكان أروع وأبهج مكان زارته "نور" رغم بساطته وشعبيته، "أكثر ما لفت انتباهها هو ذلك الرصيف الخشبي الممتد داخل البحر والقائم على ركائز حديدية سميكة، والمسبح بنوافذ زجاجية تصل السقف، وقد امتلأت الطاولات المصفوفة على جانبي الرصيف بأصناف المازة المتنوعة والأطباق الشهية والمقبلات"<sup>2</sup>.

ومما يجدر الإشارة أن الرواية لم تكتف بإدراج مقاطع وصفية في الرواية تبرز البناء الهندسي للمقهى فحسب، بل وعمدت إلى تصوير جوّها الداخلي وبعض الملامح الدالة على الصخب والانشراح إذ تقول: "وارتفعت أنخاب العرق من كل مكان، كان الناس في غاية الانشراح، النساء والرجال يدخنون "الأرجلية"، وأصوات بقبقة وفوران الماء المصفر بفعل التبغ

<sup>1</sup> حميد لحداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 72.

<sup>2</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص 35.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

المنبعثة منها، تتضم إلى أهزيج المنتشين، كان صخبا مريحا، يعطي إحساسا عميقا بالكأمنية وهناء العيش والسلم، تزيده الألوان الصريحة للخضر والأطعمة والألبسة رزونقا، وتضفي على الجو طابعا احتفاليا<sup>1</sup>.

رغم أن الساردة قد ركزت على مقهى الحاج داوود فقط إلا أنه قد بدا لنا في النهاية مرآة عاكسة لصدى الحياة الإجتماعية، وفضاء عاما ذا خصوصيات تجمع الواقع الاجتماعي والاتجاه الإنساني لرجال ونساء قصدوه للترويح عن أنفسهم.

ولهذا يبقى ذا بعد تاريخي يتوازي مع تاريخ الإنسان العربي نفسه وطابع اجتماعي خاضع لثنائية: الانتقال / التحول.

### ج- فضاء المرسم:

يطغى هاجس التغيير على شخصية البطلة في الرواية، فعلى الرغم من الهموم التي تعيشها إلى أنها لم تستسلم وبقيت محافظة على حلمها بحلول فجر مشرق وأمل جديد، وأول ما تفكر فيه بعد معاناتها من انكار الذات هو الرسم، تقول في نفسها: "من الآن فصاعدا سأرسم الفردوس، ذلك الذي فقدناه، ذلك الذي نمر بجانبه ولانراه"<sup>2</sup>.

تقصد نور فضاء المرسم كلما أحست بعبء ثقيل كاهلها، وبأن نفسها متعبة، محبطة وعاجزة لترسم فيه أحلامها وتكشف أسرارها التي بقيت أمدا طويلا في حيز الصمت والظلمة كل ذلك تجسده في لوحاتها، إنها لوحات توحى بخبايا وعوالم لم يطررها أحد فبقيت طي الكتمان لسنين عديدة، إنها ذكريات الماضي وألم الطفولة المقهورة.

لكن نور أحيانا رغم تفاؤلها ومحبتها للحياة وسعيها الدؤوب للتغيير نحو الأفضل تضعف وتحسّ بضياع وانكسار واغتراب نفسي يبعتها عن كل ما تحب وحتى عن مكانها المفضل (المرسم)، هي "لم تعد تذكر بالضبط متى توقفت عن الرسم تماما، وتحول مشغلها العابق عادة بروائح البنزين وزيت الكتان والألوان الزيتية بمواسيرها المضغوطة الملطخة

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 35.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 42.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

ببصماتها، والممتلئ بالفراشي المصبوغة والحائلة والمنفوشة وبرزم أوراق الرسم ولفائف الخيش المعالج بالأبيض بالأبيض، ومكعبات الألوان المائية المركزة، المبعثرة هنا وهناك، واللوحات المخطوطة أو المبتدأة أو المنتهية أو المعدة للمسح ثانية، وأكوام كتب الفن المتناثرة (... ) إلى فضاء في حالة غيبوبة، موت دماغي ينتظر الإنعاش أو المعجزة، يلفه اكتئاب كان في البداية متقطعاً، ومؤقتاً، متناوباً، ثم أخذ يترسخ شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت"<sup>1</sup>.

لقد استمد فضاء الرسم قيمته الدلالية بما حمله من أوجاع "نور" وأعباءها واستحضار ذكرياتها، وتجسيد أحلامها وأفكارها في رسوماتها من أجل تجسيد البنية المسكوت عنها داخل نص الرواية، ومحاولة نقلها إلى القارئ على شكل لوحات فنية تشكيلية.

### د - فضاء المستشفى:

لم يخل نص الرواية من حضور فضاء المستشفى رغم محدوديته، فقد حاز على مساحة أصغر مقارنة بحضور فضاءات أخرى كالبيوت والشقق، وحظي بوصف دقيق لمواصفاته ومجريات أحداثه وللجو الخانق الذي يسوده، وكان ذلك أثناء زيارة ربما لأبيها لتفقد أحواله والاطمئنان عليه، "قادهما الممرض عبر رواق طويل تصطف على جنباته أبواب حديدية فتحت في أعلاها نوافذ صغيرة، تمهل الممرض عند بعضها ليلقي نظرة روتينية، كان يطل من إحداها صمت المقابر ويهجم من أخرى صخب الحشر، في حين كانت تتبعث من جميعها روائح زنج مدوخة تشبه رائحة الجيفة الممزوجة بروائح الأدوية (... ) دخلوا إلى عنبر وزعت على جانبيه أسرة حديدية صدئة، بعضها خاو والبعض الآخر تشغله كتل بشرية تنوء تحت أحمال من الشقاء غير الواعي وتتوسط أوجهها أزواج من الأعين الفارغة النظرات"<sup>2</sup>.

في هذا الفضاء تتراكم الصفات والعبارات الدالة على الكآبة والضيق الخانق.

### - عيادة الطبيب:

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص ص 39-40.

<sup>2</sup> إنعام بيوض، السمك لايبالي، ص ص 104-105.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

إنها أحد الأماكن التي تردت عليها "تور" بعد أن أخذت عنوانه من صديقتها، وهو يحتوي على: "غرفة صغيرة مملوءة بأكداس من الورق، وجهاز محوّل الهاتف، وعلب كبيرة لأجهزة طبية، وكرسي فريد مقابل الباب توجد نافذة تطل على فناء صغير، غرست فيه بعض النباتات غير المزدهرة"<sup>1</sup>.

### - المؤسسة الخيرية:

هي المكان الذي عملت فيه "ريما" كمساعدة طبية، حيث تقوم هذه المؤسسة بأعمال مشبوهة تتمثلة أساسا في تعقيم النساء ذوات الأصل الهندي بغرض القضاء على هذا الجنس، وقد تبين في نهاية المكاف أنها "ليست جمعية دينية بل جمعية عنصرية تتستر تحت غطاء ديني"<sup>2</sup>.

### ه- الفضاء الديني:

شغل الخطاب الديني مساحات واسعة في متون الرواية العربية المعاصرة، باعتباره عاكسا للثقافة العربية ومشخصا للمنظومة الفكرية لأفراد المجتمع، الذين يفسحون للدين مجالا واسعا في حياتهم كتعبير عن الالتزام والاستقامة<sup>3</sup>.

وعلى هذا الأساس اهتم الروائيون بالتعبير عن موضوعاته وقضاياها، ووظفوا في العديد من رواياتهم النص الديني بمصادره القرآنية والتوراتية والإنجيلية، إضافة إلى توظيف الحديث النبوي الشريف، واستحضار الشخصيات الدينية، وبناء أحداث الرواية في ضوء أفضية دينية مقدسة.

وكأي رواية عربية أخرى فقد تجلّى الفضاء الديني في رواية "السّمك لايبالي" أيضا، لكن حضوره كان محتشما مقارنة مع باقي الأفضية أخرى ولم يتجسد مكانيا إلا في فضاء الكنيسة.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 56.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 117.

<sup>3</sup> ينظر: مفيدة بنوناس، تمظهر الخطاب الديني في الرواية المغاربية المعاصرة رواية مدينة الرياح للكاتب الموريتاني موسى ولد إينو نمونجا، مجلة الأثر، العدد 13، مارس 2012، ص 258.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

- فضاء الكنيسة:

إنه مكان مقدّس كُتِبَ لشخصية "نور" أن تزوره إبان زيارتها لبيروت رفقة أبيها، وكانت هذه الكنيسة تحمل اسم "ماريوجنا مرقس"، ولها باب كبير "يلي القبة المرفوعة على أقواس ثلاثة"<sup>1</sup>... وترجع قداسة هذا الفضاء إلى أن "الكنائس مثل المساجد بيوت الله"<sup>2</sup>، على حد تعبير "أم نقولا" اللبنانية.

<sup>1</sup> إنعام بيوض، السمك لا يبالي، ص 36.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 37.

## الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

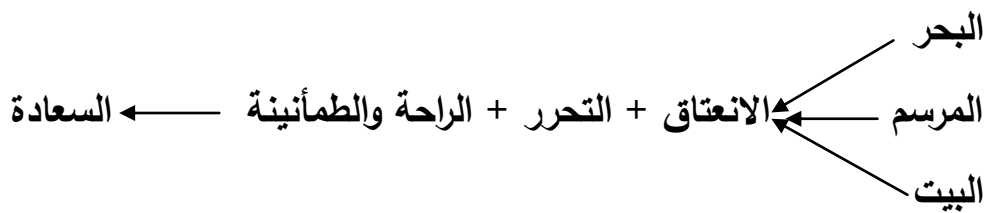
ثانيا: سمات الفضاء في رواية السمك لايبالي.

1- يؤرخ الفضاء للشخصية الرئيسية في الرواية "تور"، ويحقب أزمنة تحولاتها، ويكون وصف الشخصية عبر الفضاء متضمنا لسمات خاصة تختصر مرحلة حياة الشخصية بما يكتنفها من ظروف قاسية وتحولات.

2- اعتمدت الصور الوصفية في الرواية على خاصية الاستذكار في كثير من الأحيان؛ فمدينة الجزائر مثلا ذكرت اليطلة بمسقط رأسها مدينة دمشق.

3- اختلاف الزمن الذي يؤطر الفضاء، ومن ثم اختلاف قيمة الفضاء والوظيفة المعطاة له، بما يرمز إلى العلاقة المتأزمة بين الماضي بما فيه من ذكريات الطفولة والبراءة، والحاضر بما فيه من واقع قاس معاش.

4- تبدو علاقة البطلة ببعض الأفضية وطيدة وقادرة على الديمومة والاستمرار رغم ماشابها من انقطاع مؤقت ومرحلي، كعلاقتها بفضاء البحر والمرسم، وفي مقابل ذلك هناك فضاءات أخرى مبنوثة في الرواية لم يكن لها الأثر الكبير في سيرورة أحداث الرواية، وإنما شكلت محطات عابرة في حياة البطلة، هذه الأخيرة التي كانت علاقتها بها مبنوثة كفضاء المقهى والكنيسة.



5- استخدمت الرواية بعض الجمل أو العبارات استخداما مجازيا عبرت بواسطته عن الفضاء الذي تحيل إليه، ونابت أحيانا عن ذكره المباشر بذكر السمة المباشرة الملازمة له، نجد من ذلك عبارة "المدينة البيضاء" وتقصد بها المؤلفة مدينة "الجزائر".

6- قدمت الرواية عدة فضاءات من خلال التركيز على وصف الفعل أو الحركة التي تؤطرها وليس على وصف الأشياء المكونة لها في هيئاتها وأوضاعها وعناصرها الساكنة مثل فضاء حي محي الدين ابن عربي فقد وصفت الكاتبة كثرة ضجيجها واختلاط أصوات الباعة المجولين الصاخبة بأصوات لعب الأطفال.

## الفصل الثاني : أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"

7- استخدمت الكاتبة أسلوب التكرار بطرق شتى لإظهار الفضاء، وذلك عن طريق تكرير الكلمة الواصفة أكثر من مرة أحيانا، أو بتكرير عبارات بعينها في أكثر من موقع في النص السردي في أحيان أخرى.

كان واضحا أن الفضاءات الأساسية والجزئية التي تم تتبعها في رواية السمك لا يبالي لإنعام بيوض هي فضاءات ممتلئة بالدلالات، وليست فضاءات تلبى حاجتي التأطير والإيهام بواقعية الأحداث فقط، بل هي فضاءات موظفة توظيفا عضويا في جسد الرواية يؤدي كل منها وظيفة بنيوية دلالية خاصة به، وقد كانت في مجملها ذات ارتباط عميق وجوهري بالزمن والشخصيات، ما يدفعنا للقول ختاماً بأنه "بقدر ما يصوغ المكان هذه العناصر يكون هو أيضا من صياغتها، وتلتحم كل العناصر المكونة للنص الروائي وتكتمل الوحدة العضوية للعمل"<sup>1</sup>، بهذا الالتحام الذي تزيينه اللغة الخلاقة وتزيده تماسكا واتحادا ليشكل في النهاية بنية سردية موحدة.

<sup>1</sup> حسني محمود، المكان في الرواية زينب: الواقع والدلالات، مجلة الموقف الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، العدد:

343، سنة 1999م، ص 47.

خاتمة



## خاتمة:

شكّل الفضاء عنصراً مهماً في رواية **السمك لايبالي**، ولم يكن مجرد ديكور أثت المشهد في الرواية، قدر ما تموضع بوصفه مقوماً حاملاً لأكثر من دلالة، تضافر المكان مع الشخصيات على نحو جلي ما أسهم في تماسك البناء الروائي، ما أشار على جملة من النتائج تمثلت في مايلي:

- يقوم المنهج البنيوي في دراسة النص الأدبي على أساس الوحدة الكلية، ويمر عبر الدراسة الجزئية لوحداث النص للوصول إليها.

كلمة بنية وما يتصل بها من مشتقات بنى بجميع مدلولاتها الحسية والمعنوية لا تكاد تخرج عن هياكل الشيء ومكونه أو هيأته.

- تعد الرواية من أرقى الأجناس وأوسعها، ولاتخلو أي رواية جديدة من عناصرها التي تتضافر لبنائها، والتي يعدّ الفضاء من أهمها، لأنه الأداة الطبيعية التي تخدم أغراض الرواية في انسجام، تكون اللغة هي الخيط الناظم له، اعتماداً على ما توحى به دلالات.

- تنوع الفضاء في أشكاله، وتتعدى الرؤى إليه وفق معطيات السرد، ووفق علاقته بالعناصر الأخرى: كالزمن والشخصيات والحدث، وتظهر أهميته النظر إلى ما يحمله من دلالات، حيث إنه قد يكون حيزاً للفعل لا غير ذا معنى بسيط وصامت، في حين أنه ينتقل من معناه الساذج إلى حقل من الدلالات والإشارات، تكوّن الصورة العامة للرواية.

- رصدت الرواية مدى علاقة الفضاء بالشخص، وأظهرت دوره في تشكيل معمار الرواية، كما يمكن التأثير على فكرة الثنائيات الضدية التي حكمت المكان (المكان الأيف والمكان المعادي) على سبيل المثال وهي ثنائية ضدية وسمت بأنها عنصر مهم في البناء السردي.

- يظهر حضور الأفكار والميولات والرغبات في نص الرواية من خلال خطاب الشخصيات الحوارية الداخلي والخارجي، وهذا ما يفتح المجال لرصد بؤر الصراع الفكري والمصلحي، بين مختلف الأفضية الكائنة فيه، كما يتجلى عبر الرموز والإشارات التي تأخذ شكل مرجعيات دلالية للتعبير عن حضورها من خلال تحليل الفضاء الروائي كمكون يزخر بدلالات مختلفة.



سيظل الفضاء الروائي محل اهتمام البحث النقدي وعلاقته بعناصر الرواية الأخرى،  
والنظر في تحولاته معها في الأعمال السردية خاصة في الرواية الحديثة والمعاصرة.  
ومع بعض من الأمل نرجو من الله عز وجل أن يكون بحثنا قد أعطى فكرة عن بنية  
الفضاء في رواية "السمك لايبالي" للروائية "إنعام بيوض".

قائمة المصادر

والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

### 1- المصادر:

1. ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1426هـ-2005م.
2. ابن منظور، لسان العرب، ضبط نصه و علق حواشيه: خالد رشيد القاضي، ط 1، دار صبح و إديسوفث، بيروت- لبنان، الدار البيضاء، ج10، 2006.
3. أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ط22، منشورات أحلام مستغانمي، 2007م.
4. -----، عابر سرير، دط، منشورات ANEP، طبعة الجزائر، 2004م.
5. أحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار الدعوة للتأليف والنشر، 1989.
6. إدوارد الخراط، يابنات إسكندرية، ط1، دار إلياس العصرية، مصر، 1905م.
7. إلياس خوري، أبواب المدينة، ط2، دار الآداب، 1990م.
8. إنعام بيوض، رواية السمك لاييالي، دط، منشورات الاختلاف، دت.
9. جمال الغيطاني، شطح المدينة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1992م.
10. رشيد يحيوي، القاهرة الأخرى يوميات، دط، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 1997م.
11. عبد الحميد بن هدوقة، بان الصبح، دط، مكتبة الأسرة العربية، 1991م.
12. عبد الرحمن منيف، سيرة مدينة، دط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006م.
13. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري: شرح صحيح البخاري، دط، دار الريان للتراث، ج13، 1986م.
14. غادة السمان، كوابيس بيروت، ط1، منشورات غادة السمان، 1974م.
15. أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج6.
16. يحيى بن يحيى الليثي، موطأ الإمام مالك، ط5، دار النفائس، بيروت، 1981م.
17. محمد ديب، الدار الكبيرة، تر: سامي الدروبي، دط، مؤسسة دار الهلال، 1970.

18. نجيب محفوظ، القاهرة الجديدة، دط، دار الشروق، القاهرة، 2006م.

## 2- المراجع باللغة العربية:

19. ابراهيم جنداري، الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001م.

20. ابراهيم رمانى، المدينة في الشعر العربي: الجزائر نموذجا (1925-1962م).

21. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد2، فبراير، 1978م.

22. احمد بن محمد بن الفيومي المقري، المصباح المنير، ط1، دار الحديث للنشر والتوزيع، 2003م.

23. إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، دط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

24. حسن نجمي، الفضاء والهوية في روايات سحر خليفة، دط، العلم الثقافي؟، 1997م.

25. -----، شعرية الفضاء: المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.

26. حسني محمود، المكان في الرواية زينب: الواقع والدلالات، مجلة الموقف الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، العدد: 343، سنة 1999م.

27. حسين خمري، فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2002م.

28. حميد لحمداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م.

29. حياة بوخلط، أوجاع المدينة: مجموعة شعرية، دط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

30. سعد عبد العزيز، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، دط، مكتبة الأنجلو مصرية والمطبعة الفنية، 1970م.

31. سعيد يقطين، قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، (دط)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997.

32. سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004م.
33. شاكرا النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994م.
34. -----، مدار الصحراء، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1991م.
35. الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دط، دار الجنوب للنشر، دت.
36. صالح ابراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.
37. صالح ولعة، المكان ودلالته في روايته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، 2010.
38. الطاهر وطار، رواية الزلزال، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
39. عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، دط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دت.
40. عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى: مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990.
41. عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ط4، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007م.
42. -----، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، (دط)، مطابع الرسالة، الكويت، 1988م.
43. عبد الوهاب الرقيق، في السرد - دراسات تطبيقية -، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس، 1998م.
44. عبشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
45. عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في الروايات لنجيب محفوظ، ط1، دار الحداثية، بيروت، 1986م.
46. عزت القمحاوي، مدينة اللذة، ط2، دار العين، مصر، 2009م.

47. عمرو كنعاري، الفضاء الروائي في أعمال سحر خليفة، ط1، مطبعة أنفوبريت، فاس-المغرب، 2011م.
48. فرحان اليحي، تجليات المكان في أقاصيص جولانية: دراسة نقدية بنبوية، مجلة الموقف الأدبي، العدد: 382، 2003م.
49. فهد حسين، الككان في الرواية البحرينية، ط1، فراديش للنشر والتوزيع، 2003م.
50. فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ط2، الدار البيضاء-المغرب، 2002م.
51. محمد بنيس، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاته، ج3، ص 112. نقلا عن: حسين نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية.
52. محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح، قراءة المكونات الفنية والجمالية السردية، دط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
53. محمد داود، (المدينة في الرواية الجزائرية)، مجلة انسانيات، العدد 13، سنة 2001م.
54. محمد عز الدين تازي، الرواية والافضاء الروائي، مداخلة مقدّمة لندوة الرواية العربية، رابطة أبناء الجنوب، أغادير، 2011م.
55. مرزاق بقطاش، طيور في الظهيرة، دط، نشر مجلة أمل بوزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1976م.
56. ملاس مختار، دلالة الأشياء في الشعر العربي: عبد الله البردوني نموذجاً، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، الجزائر، 2002م.
57. مفيدة بنوناس، تمظهر الخطاب الديني في الرواية المغاربية المعاصرة رواية مدينة الرياح للكاتب الموريتاني موسى ولد إينو نموذجاً، مجلة الأثر، العدد 13، مارس 2012.
- 3- المراجع المترجمة إلى اللغة العربية:**
58. غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
59. يروي لوتمان، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم، مجلة ألف باء، العدد: 06، 1986م.

#### 4- المراجع باللغة الأجنبية:

60. Gérard Genette, Figures2, Editions SEUIL, Paris, 1972.
61. Jean weisgerber, L'espace romanesque, op.
62. Miek bal, Narratogie, paris, 1977.

#### 5- الرسائل الجامعية:

63. حمد بن سعود البلهيد، جماليات المكان في الرواية السعودية من 1390 حتى 1423هـ، أطروحة دكتوراه في الأدب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف: أحمد السعدني، سنة المناقشة: 1426هـ-1427هـ.
64. زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، رسالة ماجيستر، قسم اللغة الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
65. صفاء المحمود، البنية السردية في روايات خيرى الذهبي (الزمان والمكان)، رسالة ماجيستر في اللغة العربية وآدابها، شعبة الدراسات الدبية، جامعة البعث، إشراف غسان مرتضى، سنة المناقشة: 2009-2010.
66. محمد صالح السلوم، الفضاء الروائي: نماذج تطبيقية من الرواية السورية، رسالة ماجيستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، تاريخ المناقشة: 2009-11-25م.

#### 6- المقالات والمجلات:

67. الزواوي بغورة، "مفهوم البنية"، مجلة المناظرة، جامعة قسنطينة، السنة 3، العدد5، يونيو 1992م.
68. عبد الرزاق المساوي، الفضاء في مملكة الروح والرماد، مجلة المشكاة، العدد25، 1987.

## 7- المواقع الالكترونية:

69. [ar.wikipedia.org](http://ar.wikipedia.org).
70. <http://www.almaany.com>.
71. <http://www.expliciet.nl>.

فهرس

الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
	شكر وعرافان
	إهداء
أ	مقدمة
06	مدخل نظري
<b>الفصل الأول: الفضاء، تفاعلاته ووظائفه</b>	
13	أولاً: مفهومات الفضاء
13	1- في المعاجم العربية والغربية
14	2- في اصطلاح الدارسين والنقاد
22	ثانياً: تفاعلاته (علاقته بمكونات السرد الأخرى)
22	1- علاقته الفضاء بالزمن
23	2- علاقته الفضاء بالشخصية
25	3- علاقته الفضاء بالحدث
26	4- علاقته الفضاء بالوصف
27	ثالثاً: وظائفه
27	1- الوظائف الخارجية
28	2- الوظائف الداخلية
<b>الفصل الثاني: أنواع الفضاءات وسمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"</b>	
33	أولاً: أنواع الفضاءات
33	1- الفضاء المفتوح
54	2- الفضاء المغلق
65	ثانياً: سمات الفضاء الروائي عند "إنعام بيوض"
68	خاتمة

	قائمة المصادر والمراجع
	ملاحق
	ملخص

## ملخص:

يقوم هذا العمل ببحث بنية الفضاء في رواية "السّمك لا يبالي لإنعام بيوض" بالأدوات الإجرائية التي اقتضاها موضوع البحث وفق فصل نظري و آخر تطبيقي. اتخذت الدراسة من النتائج المعاصرة التي توصل إليها المنهج البنيوي عوناً لها، خاصة ما يتصل بمكونات البنية السردية، كما أنها اعتمدت على المنهج الوصفي، إذ أفاد في تحديد ملامح الأمكنة ووصف الشخصيات، كما تحددت من خلاله الظواهر البارزة و المميزة لأسلوب الكاتبة.

حاولت هذه الدراسة الكشف عن فضاءات رواية السمك لا يبالي على نحو سيدعي الفضاءات بما هو عناصر أساسية لها دلالاتها المتعددة، ما يحمل على القول أن الفضاء لم يكن مجرد حيز أو أداة لتأنيث مشهد، قدر ما كان مقوماً رئيساً أضفى جمالية خاصة على الرواية.

**الكلمات المفتاحية:** البنية، الفضاء، الرواية.

## Résumé:

Cette recherche a pour objet d'étudier la structure de l'espace dans le roman Inaam Biyoud intitulé « alsamak la yubali li'ineam byud ». Elle contient deux grandes parties : La première théorique et l'autre pratique .

La recherche s'est basée sur les résultats contemporains de la méthode structurale surtout la structure narrative et aussi la method descriptive .

Cette étude a essayé également de révéler les espaces dans le roman « Le poisson ne se soucie pas » d'une façon à indiquer qu'il sont des éléments essentiels st non seulement des outils secondaires dans le texte .

**Mots-clés:** La structure, Espace, Le roman.